
مطبوعات كتابي
يصدرها
حلمي مراد
أحدث ما كتبت
فرانسواز
ساجان
السحب
الرائعة

فرانسواز ساجان

السحب الرائعة



LES MERVEILLEUX NUAGES

PAR

FRANÇOISE SAGAN

الثمن : ١٢ قرشا

تصويب هام

نأسف لوقوع خطأ مطبعى فى الصفحة ١٣٦ من هذا الكتاب ، فى العبارة الأخيرة من السطر الرابع ، وصحة السطر بأكمله كالآتى :

فأمسكت جوزيه بيده ، بدافع غريزى ، وقالت: «عفوك ،

وكذا وقع خطأ آخر فى الصفحة ١٤١ فى السطر قبل الأخير ، الذى نصه : « ـ أشكرك .. » وهو سطر ينبغى حذفه كى يستقيم الكلام ، اذ تكرر نصه خلال السطر الذى يليه ، وهو السطر الأخير من صفحة ١٤١ .

فنأسف لهذين الخطأين اللذين سهى على المصححين تداركهما .

مطبوعات

كتابى

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

الكتاب الثالث والستون

السحب الرائعة

ترجمها بأمانة عن الطبعة الانجليزية : رمسيس شكرى

راجعها : محمد بدر الدين خليل

هذبها ، بتصرف ، بغير اخلال بالأمـــانة للمعنى دون اللفظ : حلمى مراد

الادارة : عمارة الجندول – ١٤ شارع ٢٦ يوليو – بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

الغريب

ـ **قل** ايهـــا الغامض ، أيهـم أحب اليك : أبوك ، أو أمك ، أو اختك ، أو أخوك ؟

ـ **ليس** لى أب ، ولا أم ، ولا أخت ، ولا أخ ..

ـ **وأصدقاؤك ؟**

ـ **انما** تتحدثين عن شىء لا يزال معنـاه مجهولا لدى حتى اليوم ..

ـ **والجمال** ؟

ـ **أحبه** طواعية ، أيتها الربة المخلدة .

ـ **والذهب** ؟

ـ **أكرهه !**

ـ **اذن** ، فماذا تحب أيها **الغريب العجيب ؟**

ـ **أحب** السحب .. السحب التى تمـــر .. هناك .. هناك .. السحب الرائعة !

« شارل بودلير »

من ديوانه : (أشعار منثورة)

فلوريدا

كانت أحراش (مانجروف) السوداء تمتد تحت سماء (كى لارجو) الزرقاء ، المزركشة ، وقد لاحت أشجارها اليابسة أقرب الى الحشرات الرهيبة منها الى الاشجار .

وأغمضت « جوزيه » عينيها ، وتنهدت .. كانت الاشجار « **الحقيقية** » التى تركتها على أرض الوطن ، بعيدة عنها الآن .. سيما شجرة الحور التى عاصرتها ابان عهد طفولتها ، والتى كانت تنتصب وحيدة ، فى زاوية من الحقل على مقربة من المنزل ..

فى تلك الايام ، اعتادت أن تستلقى تحتها ، مسندة قدميها الى جذعها ، وهى تراقب مئات الاوراق الصغيرة ، المطوية على نسق واحد ، وقد راحت الريح تعبث بها . وفى أعلى ، على ارتفاع شاهق فى الهواء ، كانت قمة الشجرة تشق الفضاء ، وقد ارتكزت على ساق طويلة ، ممشوقة ، فاتنة ، كأنما كانت تهم بالتحليق ..

ترى كم كان عمر « جوزيه » وقتذاك ؟ .. اربعة عشر عاما .. أو خمسة عشر ؟

لقد اعتادت أن تستند الى جذع الشجرة ، ورأسها بين راحتيها ، وشفتاها ملتصقتان بأليافها الخشنة .. وتروح تمنى نفسها – فى همس – بالآمال الكبار ، وتشد أنفاسها ، وتغالب آلام المراهقة والفزع من مستقبل لم يكن أمامها من سبيل للفرار منه !

ولم تكن تتوقع يوما أنها ستهجر شجرة الحور تلك ، ولا أن تجدها – بعد غيبة عشر سنوات – ملقاة على الارض ، وقد بانت على جذعها ، اليابس ، الصلب – بوضوح – آثار فأس غائرة !

– فيم تفكرين ؟

– فى شجرة !

– أية شجرة ؟

وضحكت جوزيه ، ثم قالت : « شجرة لا تعرفها ! »

– حقا !

وبدون أن تفتح عينيها ، أحست بجو من التوتر يتزايد حولهما .. ذلك التوتر الذى كانت تتكهن بوقوعه كلما اتخذ صوت « ألان » نبرة معينة . فأردفت :

– **أفكر فى شجرة عرفتها فى الثامنة من عمرى .**

وتساءلت عما دعاها الى ان تزج بذكر عمرها فى اجابتها عن سؤاله .. ربما دعاها الى ذلك أنها حسبت عودتها بالقصة الى ذلك الماضى السحيق ، كفيلة بأن تخفف من حدة غيرة « ألان » .. فما كان بوسعه أن يحاسبها عن ماضيها وهى فى الثامنة من عمرها ، فيسألها : **« من كان عشيقك اذ ذاك ؟ »**

ومرت بهما فترة من الصمت ، لكن الموضوع كان قد شغل تفكيره ، فصار بوسعها أن تحس بالافكار تموج وتصطرع فى ذهنه ، بينما ولى عنه الخمول الذى كان يخيم عليه – قبل لحظة – ليحل مكانه اهتمام متيقظ .. وأحست

بقطرة من العرق تفصدت خلف عنقها ، وراحت تتسلل الى ظهرها .

وسألها « ألان » بعد برهة :

ـ ما الذى دفعك الى الاقتران بى ؟

ـ اننى أحببتك .

ـ والآن ؟

ـ مازلت أحبك .

ـ لماذا ؟

هكذا كان الامر يبتدىء ـ دائما ـ بتلك الاسئلة الثلاثة الشبيهة بالطرقات التقليدية ، التى تسبق رفع الستار فى مسرح فرنسى ..

ـ ولماذا أحببتنى ؟

ـ رأيت فيك أمريكيا هادئا ـ ذكرت لك هذا مئات المرات ـ كما خيل لى أنك كنت فاتنا !

ـ والآن ؟

ـ أرى فيك أمريكيا لا يتصف بالهدوء ، وان كنت لأزال أراك فاتنا !

ـ بل ترينني أمريكيا يعانى من اضطراب الاعصاب ؟.. وله أم تمتلك أموالا طائلة ؟

ـ أجل .. حسنا : اذن فقد تزوجت الصورة التى عاشت فى خيالى ، فماذا فى ذلك ؟ .. ماذا تريدنى أن أقول ؟

ـ أريدك أن تحبينى .

ـ ولكننى أحبك .

ـ كلا !

وحدثت نفسها : « لكم أرجو أن يعود الآخرون .. أن يعودوا بسرعة .. فما كان أقبحها من فكرة أن يخرجوا لصيد السمك فى هذا الجو الخانق ؟ .. ان « الان » لن يلبث ان يفرط فى الشراب ، وسيقود السيارة بسرعة جنونية، ثم يستلقى الى جانبى ، وعندئذ .. سأجد نفسى مفرقة فى حبه لساعة أو أكثر ، لا لشىء الا لأنه يبدو ضائعا . وغدا فى الصباح ، سيفضى الى بأحلامه المزعجة . ان له خيالا فذا ! »

***

وبعد قليل ، نهضت جالسة فى مكانها ، وراحت ترمق بنظراتها الحاجز الحجرى الابيض الذى يفصل مياه البحر عن رمال الشاطىء . لكن عينيها لم تقعا على مخلوق هناك، فعادت الى الاستلقاء على مقعدها من جديد . واذ ذاك قال « ألان » بلهجة لاذعة : **« لم يظهر أحد منهما بعد . ياالخيبة الامل !.. لعلك تحسين بالملل . أليس كذلك ؟ »**

فالتفتت نحوه ، وراحت تحملق فيه .. كان ـ فى الحقيقة ـ أشبه بأبطال أفلام رعاة البقر ، **ذا عينين** زرقاوين ، ضيقتين ـ كعيون أهل الصين ـ وبشرة برونزية ، ووجه تنطق قسماته بتعبير واضح صريح .. كان يمثل البساطة بأجلى معانيها .. أجل ، هكذا كان «ألان»!.. ولقد أحبته ، بل وما زالت تحس ازاءه بنوع من الحب ، كلما تأملته عن كثب . ولكنها ـ فى الآونة الاخيرة ـ أخذت

تكثر من الاشاحة عنه !

ـ حسنا .. أنواصل الحديث ؟

ـ اذا لم يكن منه بد !

ـ ماذا كان شعورك عندما عرضت عليك الزواج ؟

ـ شعرت بالسعادة .

ـ أهذا كل شىء ؟

ـ لقد خيل لى ان يدا امتدت الى لتنتشلنى .. فى الوقت الذى كنت أعانى فيه ارهاقا شديدا . انك تدرك هذا جيدا .

ـ تعانين ارهاقا .. ممن ؟

ـ من أوربا .

ـ ممن فى أوربا ؟

ـ لقد سبق أن أخبرتك .

ـ أخبرينى مرة أخرى !

ودارت بخلدها فكرة الرحيل ، فراحت تحدث نفسها : « سأرحل بعيدا .. لا بد أن أعقد العزم على ذلك .. لابد أن أثبت الفكرة فى رأسى ! سأرحل بعيدا .. وبوسعه أن يفعل ما يحلو له ، ولينتحر اذا لم يكن من الامر بد ! .. لقد ناقشنى فى هذا الشأن مرارا ، بل وأكثر مما ينبغى .. وكذلك فعلت أمه .. ليكن ، فلينتحر ، أو فليفقد عقله كأبيه ! »

ولكنها لم تكد تتخيل « ألان » ميتا ، حتى استولى عليها احساس بالفزع والرعب .. « ألان » ، ذلك الرجل الذى كانت فكرة الموت لاتنى تطارده ! .. وحدثت نفسها : « لست أرغب فى أن أكون الذريعة التى يتعلل بها للانتحار ! »

وقالت له ، فى ضعف ووهن : **« ليس بمقدورى أن أكن لك احتراما ، مادمت تعمد الى ابتزاز عواطفى بهذه الطريقة !»**

ــ وماذا يضيرك فى ذلك ؟

ــ ماذا حقا ؟

ماذا يهمه ان كانت تكن له احتراما أم لا ؟ .. وفضلا عن ذلك ، فلن يلبث احساسها بهوانها وضعة نفسها أن يتمكن منها .. لقد بلغت من الهوان درجة جعلتها ــ وهى بعد فى السابعة والعشرين من عمرها ــ تلعب فى حياته دور « طوق النجاة » .. اداة السلامة .. لقد غدت بمثابة « حاجز » ضد الكوارث والنكبات . ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاث سنوات ، منذ كانت فى باريس ، تعيش وحيدة أو مع من يحلولها أن تعيش معه .. كانت منطلقة ، متحررة ، تتنفس بحرية . **أما الآن ، فقد أضناها هذا الوضع ، مع زوج مخبول ، متلوف الاعصاب ، فى مقتبل العمر ، وليست لديه أدنى فكرة عما كان يبتغى منها !**

وشرعت تضحك ، فانتصب ــ من رقدته ــ جالسا ، وراح يرمقها بنظرات حادة .. كان يمقت أن يرى شفتيها تنفرجان عن ضحك فى مثل هذه الحال ، برغم أنه كان يطلق العنان أحيانا لروحه المرحة ..

ــ **كفى عن هذا الضحك !**

غير أنها لم تكف عن الضحك ، وانما واصلته بخفوت ــ وبشىء من اللطف الناعم ــ حين شرد ذهنها ، وتدافعت اليها ذكرى مسكنها بباريس ، والشوارع حين يسيطر عليها

الليل ، وما سلخته من أعوام جامحة ، لاهية ، بلا هموم !

وما لبث « ألان » أن نهض قائلا : « ألا تشعرين بالظمأ ؟.. أخشى ان تصيبك ضربة شمس يا حبيبتى !.. هل لك فى شىء من عصير البرتقال ؟ » .. ثم جثا على ركبتيه بجوارها ، وأراح رأسه على ذراعها ، مواصلا النظر اليها . **وكان ذلك سلاحه الثانى : أن يلوذ بالعاطفة ، كلما تغلبت هى على غيرته !**

وأخذت تتحسس قسمات وجهه ، متتبعة بأناملها معالم فمه المطبق الشفتين ، وعينيه الواسعتين ، وهى تسائل نفسها عن سبب انطفاء شعلة تأثير حيويته الهادئة عليها .

وقالت تجيب عن سؤاله : « بل أفضل كأسا من شراب (البيكاردى) . »

وابتسم .. ذلك لانه كان يحب الشراب ، كما كان يحب أن تشاركه أياه ، ولقد حذرها بعض معارفها من ذلك أيضا ، ولكن .. بالرغم من انها لم تكن تشعر بشغف خاص بالخمر ، الا أنها كانت تحس — من حين لآخر — برغبة عارمة فى أن تثمل ، وأن تغيب عن وعيها بقية عمرها !

وقال ألان : « اذن فلنطلب كأسين من البيكاردى »

وطبع على يدها قبلة .. فرمقتهما امرأة ذات شعر أبيض — كانت ترتدى سروالا قصيرا ، مزركشا برسوم الزهور — بنظرة رضاء وحنان . ولكن جوزيه لم ترد ابتسامتها بمثلها ، فقد كانت منهمكة فى مراقبة « ألان » وهو يسير — مبتعدا عنها — فى خطوات رشيقة ثابتة .. خطوات انسان اعتاد

أن يعيش فى رغد ويسر . **وانتابها شعور ألفته فى كل مرة كان ((ألان)) يبتعد فيها عنها .. أحست بالكآبة تستولى عليها ، فهمست لنفسها قائلة : ((ومع ذلك فأنا لم أعد أحبه !))**

وأسرعت تدفن رأسها بين ذراعيها ..

***

وعندما عاد الآخرون ، ألفوهما مستلقيين على الرمال ، وقد اسندت ((جوزيه)) رأسها الى كتف ((آلان)) ، وانهمكا فى الحديث عن الكتب فى استغراق .. وحولهما ، كانت ثمة بعض كؤوس متناثرة !.. ونبهت نظرات ((براندون كينيل)) زوجته الى هذه الكؤوس ، فى صمت . وكانت ((ايف كينيل)) ذكية ودميمة ، فى آن واحد ، ولكنها لم تكن تبلغ فى ذلك الحد الذى يصدم شعور الغير . وكانت — كزوجها — تحب ((جوزيه)) ، وتساورها المخاوف بشأن ((آلان)) .

والواقع ان ((كينيل)) وزوجته كانا متفقين فى الرأى بصدد كل شىء ، عدا الهيام الطاغى ، الدفين ، الذى كان ((براندون)) يكنه لجوزيه .. طبعا !

وما لبثت ((ايف)) ان صاحت : ((يا له من يوم !.. ثلاث ساعات فى البحر ، لمجرد الحصول على سمكة ضئيلة من (الباراكودا) !؟))

فسألها آلان : ((ولماذا تجوبان البحار ، والسعادة هاهنا على الشاطىء ؟)).. ثم طبع قبلة على شعر زوجته .

واد رفعت « جوزيه » ناظريها الى على ، لمحت عينى « براندون » تحملقان فى الكؤوس الفارغة ، فتمنت فى سريرتها لو يذهب الى الجحيم !.. فقد قضت ساعة هانئة ، كانت السعادة ـ أثناءها ـ تغمرها ، بينما كان « ألان » منشرحا ، مستريحا .. فهل كان يغير من واقع الامر ان بضع كؤوس من « البيكاردى » قد ساهمت فى ذلك؟

ووضعت يدها على ساق « ألان » البرونزية ، مرددة قوله : « السعادة هنا على الشاطىء ! »

واشاح « براندون » بنظره بعيدا ، فقالت « جوزيه » لنفسها : « لقد جرحت مشاعره ، واحسب انه يهوانى . من العجب حقا ان هذه الفكرة لم تخطر لى اطلاقا ! »

وما لبثت ان مدت اليه يدها ، قائلة : « ساعدنى على النهوض يا براندون . فلقد اصابتنى الشمس بدوار » .

وكان كثير من الناس يتساءلون عن السر فى ان « براندون كينيل » ـ الذى كان اشبه بقرصان ، شارد الذهن ـ قد تزوج من « ايف » ، التى كانت تشبه النملة .. لكن ذلك كان له سببان : **فقد كانت « ايف » واسعة الافق ، لبقة فى التفاهم .. فى الوقت الذى كان هو فيه خجولا ، هيابا !**

وساعد « براندون » جوزيه على النهوض ، فترنحت وتعلقت به .. فقال « ألان » محتجا : « وأنا يا ايف ؟.. هل تتركوننى راقدا هنا على الشاطىء ، وحيدا ، طوال الليل ؟.. بوسعك ان ترى اننى ثمل بمثل جوزيه ـ فهى

ثملة كذلك – ألم تقل لك اننا كنا سعيدين ؟ »

وكان « ألان » يرقد على الرمال محملقا فيهم ، وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة .. فتركت جوزيه ساعد براندون، ثم عادت فامسكت به فى قوة ، قائلة لزوجها : « اذا كنت لا تحتمل كأسين من الشراب ، فهذا شأنك . أما انا ففى تمام وعيى .. وانا – فوق ذلك – جائعة ، وسأتناول عشائى مع براندون ! »

وأولتهم ظهرها وقد نسيت « ايف » .. فلأول مرة منذ عام ، أدركت ان العالم كان يحتوى على رجال آخرين عدا « ألان » . وبعد قليل ، قالت بصوت مرتفع ، وكأنها تتحدث مع نفسها : « انه عديم اللباقة ، وهو يفسد كل شىء ! » .. فأجابها براندون : « **كان يجدر بك ان تهجريه !** »

– هذا خليق بأن يجعله مثل سفينة غارقة . أعنى ..

– لكنه غرق وانتهى الامر !

– اعرف ذلك .

– لكنه لا يزال فاتنا . أليس كذلك ؟

وفتحت فاها كى تحتج على قوله ، لكنها ما لبثت ان هزت كتفيها وقالت : « أجل . أرجح ان الامر كذلك ! »

وسارا بخطوات وئيدة نحو المطعم . وكان « براندون » يحس بملمس يد « جوزيه » على ذراعه ، فأخذ يتساءل عما اذا كان يجدر به ان يسحب ذراعه قبل ان يصلا الى المطعم ؟.. وكانت ذراعه فى وضع غير مريح ، فأحس بعضلاتها تتقلص وتشل حراكها .

وقال بعد قليل : « لشد ما اكره ان تعاقرى الخمر ! » . وانبعث صوته عاليا ، وفيه تأكيد واضح – ولقد أدرك ذلك – فرفعت جوزيه رأسها وقالت : « وأم « ألان » تكره ذلك أيضا .. وكذلك انا . لكن ما اهمية ذلك لديك ؟ »

وخلص ذراعه من يدها ، فشعر براحة .. كانت تلك احدى المناسبات القليلة التى استطاع فيها ان يتحدث اليها على انفراد . وها هو ذا قد نجح فى اثارة غيظها ، فأجاب : « كلا .. ليس هذا من شأنى ! » ، فاستدارت ملتفتة اليه ، وهو يسير الى جوارها ، وذراعاه متدليتان الى جنبيه .. كان ذا وجه ينطق بالاستقامة التى تبعث الطمأنينة فى النفوس . **ولقد خيل اليها – عندما تزوجت « ألان » – انه كان من ذلك الطراز من الرجال .**

وما لبثت ان قالت له :

– انك على حق يا براندون ، فاصفح عنى .. ان مناقشاتك تفيض دائما بالرزانة والواقعية ، وهما ليستا دائما من فضائل الاوروبيين . اننى أعيش مع « الان » ، كما ترى .. ولست أستطيع ان أقول لنفسى : « يجب ان أهجره » ، بنفس السهولة التى أقول بها : « يجب ان استأصل الزائدة الدودية » !

– ومع ذلك ، فلابد ان تفعلى يا جوزيه .. واذا كان هنالك ثمة ما استطيع أن أفعله ..؟

– اشكرك يا براندون . أعلم ذلك . لقد كنتما – أنت وايف – فى غاية الطيبة معى .

– ليس « ايف وانا » .. وانما أنا فقط !

واصطبغ وجهه بحمرة الخجل ، حتى صار قـرمزى اللون ، لكن « جوزيه » لم تجبه بكلمة . وبرغم انها اعتادت ان تستعذب – أثناء حياتها فى باريس – تعذيب الرجال ، ولم تكن لتترك فرصة كهذه تفلت من يدها ، الا انها ما لبثت ان عادت تحدث نفسها : **« لقد كبرت الآن ! »**

وكان المطعم غاصا برواده ، بينما لاح على الشـاطىء – بعيدا عنهما بمسـافة كبيرة – شـبحا ايف وألان ، يتبعانهما فى بطء .

***

ومرة أخرى اختلى ألان وجوزيه بنفسـيهما فى الكوخ الهندى الذى كان « ألان » يمتلكه على الشـاطىء ، والذى كان يتكون من ثلاث غرف طويلة جـدا ، فرشت بأثاث خفيف من الخيزران الملون ، وزينت جدرانها بأقنعة زنجية ، وبتحف من القش المجدول ، وبعض حراب صيد الحيتان ، وبكل ما كانت أم « ألان » تراه غريبا عجيبا !

وبرغم ان ألان قد عاش فى الكوخ فترة طويلة قبـل زواجـه ، فلم يكن ثمة ما يوحى بذلك .. فالـكتب و « الاسطوانات » الموجودة ، احضرتها « جوزيه » معها من (نيويورك) .. وما عرفت « جوزيه » يوما رجلا مثـل « ألان » فى عدم الاكتراث بماضيه ، فما كان بوسـعه ان يرى نفسه الا فى ضوء علاقته بها !.. **العلاقة التى ثابر فيها على انتهاج دور الباغى الموغل فى التعذيب ، الى درجـة**

كانت « جوزيه » تشـــعر معها ـ أحيانا ـ بالرغبة فى الضحك !

والواقع ان « ألان » صاغ علاقتهما على شـكل معين ، مكرسا نفسه لها كلية ، حتى ان « جوزيه » كثيرا ما كانت تصاب بنوبات من الدوار ، مثلما يحدث للمرء حين يشاهد مسرحية رديئة ، أو فيلما سخيفا !.. لكن مؤلف المسرحية الطمـــوح كان ـ فى تلك الحالة ـ هو «ألان» . ومن ثم فلم يكن أمامها سوى ان تترقب الفشل الذريع الذى ينتظـــر تلك الرواية ، كى تتحسر معه عليها !!

وراح « ألان » يذرع الغـــرفة جيئة وذهابا أمامها . وداعب الهواء الدافىء المتسلل من النافذة المفتوحة وجناتهما فى لطف ، حاملا معه رائحة البحر ، والدخان المنبعث من المداخن ، والعرق الفريز .

وأخيرا قال لها : « ان براندون مغرم بك ! »

وابتسمت .. لقد كان دائما يلاحظ كل شىء ، فى عين الوقت الذى تفطن فيه هى اليه .. ولو انه قال ذلك قبل يومين ، لاتهمته بالوسوسة ، والهلوسة .. ولو قاله بعـد يومين ، لرمته بالعمى .

ولم يلبث ان سألها فى صـــوت حالم : « ماذا أوتى براندون ؟ » . ثم توقف عن السير ، ليستند الى النافذة ، فأجابته : « لم يؤت كثيرا » . واستطرد قائلا :

ـ دعينا نرى .. انه رجل ممتاز ، رصين ، يبعث على الطمأنينة . بل انه الرجل الوحيد الذى يرتاح المرء اليـه فى (كى لارجو) .. وزوجته امراة ذكية ، تعـرف كيف

تتصرف بلباقة .. وبوسعى ان اتخيله يلقى بى أرضا ، لو حدث ان أهنتك – (فهو كما تعرفين ، مثال للرجل المهذب ، الكامل الخصال !) – بينما هو يقول : « هنالك اشياء – ايها الفتى العجوز – لا يستطيع المرء احتمالها من أى انسان ، فالليدى جوزيه فوق مستوى الشبهات ! » .

وراح يضحك .. ثم عاد يقول : « أراك لا تقولين شيئا . هل تعتقدين ان مثل هذه الواقعة لا يمكن حدوثها ؟ »

– كلا .. ما من شىء يبدو لى بعيد الاحتمال !

– حتى ولا .. أن يتخذك خليلة !؟

– كلا . لكننى لا أشعر بميل أو رغبة فى ذلك .

– أوه ، لن تلبثى ان تشعرى ، بمرور الوقت .. سوف ترين !

واذ ذاك ابتعد ألان عن النافذة ، ومرة أخرى انتابها ذلك الاحساس بأنها كانت تشاهد « مسرحية » !.. لقد كان ينبغى ان يتخذ ذلك الموقف قبل ان يلقى على مسامعها كلمات دوره ، حاسبا فترات الصمت فى مهارة تضارع مهارة الممثل المتمكن من فنه ، وكأنه كان يحس بحاجته الى وضع خط فى أسفل الكلمات التى يريد ابراز معانيها !.. وظلت ترمقه بنظراتها ، من خلال عينيها نصف المغمضتين ، وهى راقدة على الكرسى الطويل القماشى ، وقد ضمت يديها خلف رأسها .. **ولم تلبث أن ابتسمت لنفسها ، فاليوم فقط ، ولاول مرة ، استطاعت ان تحدد كفة عواطفها تحديدا نهائيا ، تلخص فى عبارة : « يجب ان أغادر**

هذا المكان ! »

واستطرد ألان : « ربما كان براندون يثير فيك مللا قاتلا ، ولكن ما كان يجدر بك ان تكتمى الامر فى نفسك ، وكأنه سر لا يجوز افشاؤه !.. انك قد جذبته من ذقنه بعيدا عن الشاطىء بطريقة بارعة ، تاركة « ايف » المسكينة بمفردها معى . لكم بدت بائسة وهى تراقبكما تبتعدان ! »

— لم يخطر ذلك ببالى .. هل تعتقد اننى ..

وكانت على وشك ان تقول : « هل تعتقد اننى جرحت مشاعرها ؟ » .. غير انها توقفت ، فقد كان من المرجح ان يجيبها بنعم !.. لقد كان يحاول دائما ان يبث فى نفسها احساسا بالذنب . وفجأة شعرت بالغضب يعتمل فى صدرها ، فصاحت : « اننى لم أجرح مشاعرها . ان ايف تثق بى ، وكذلك براندون . انهما لا يتصوراننى أقضى حياتى راقدة فى فراشى ، فاتحة ذراعى لأى رجل .. انهما طبيعيان ! »

— أتعنين اننى لست كذلك ؟

— انك تعرف حق المعرفة انك لست طبيعيا .. وانك لتفخر بهذا . اليس كذلك ؟ **انك تجتر أوهامك من الصباح حتى المساء ، ولسوف تصبح عاجزا لا حول لك ، اذا ما اضطرتك الظروف الى النزول الى الارض ، والى ان تعيش حياة عادية ، مثل سواك من بنى البشر !**

وما انتهت من جملتها ، حتى حدثت نفسها : « يا الهى .. أنا ، من دون الناس جميعا .. أنا التى احتقر المنطق

السليم ، أصبحت أعظه كما لو اننى كنت « عما » ثقيل الظل !.. لن يدهشنى ان أغدو فى النهاية ثقيلة الظل ، يهرب الناس من صحبتى . ولسوف تبعث هذه النهاية الغبطة فى نفسه ! »

***

وفى تلك اللحظة اقترب منها ، تحدوه الثقة بنفسه ، مبتسما ، وقال : « جوزيه .. هل تذكرين ما قلته لى ذات مرة : « ينبغى على المرء ان يتقبل الناس كما هم . وما رغبت مطلقا فى تغيير أحد » .. أتذكرين ؟ »

ثم جلس الى جوارها ، يتحدث فى رقة ، فلم يعد بوسعها ان تتأكد مما اذا كان يردد كلماتها ذاتها ــ وكأنها كانت « انجيلا » تتوقف سعادته عليه ــ أو انه كان يرغب فى مجرد اخجالها . نعم ، لقد قالت ذلك بالفعل ، ذات شتاء فى نيويورك . كانا قد قضيا ساعة مع أم « ألان » ، انصرفت بعدها معه ، وقد فاض فؤادها بالحنان ، والعاطفة، والمبادىء السامية . ثم سارا ساعة فى متنزه (سنترال بارك) ، بدا بعدها حائرا ، يعتمد عليها اعتمادا كليا !

وقالت أخيرا : « أجل لقد قلت ذلك ، ولا زلت أؤمن به ! » .. وتوقفت قليلا ثم استطردت : « ألان . انك لا تساعدنى .. »

ــ هل تعتقدين اننى اتعمد القسوة عليك ؟

ــ نعم !

واذ ذاك أغمضت عينيها . لقد كسب المعركة بارغامها

على الاعتراف بأنه قد آلمها ـ وهو بالضبط ما كان يسعى اليه ـ **وكان سبيله الى ذلك ان يخترق نطاق دفاعها ، ثم يعمد الى ايلامها الى أقصى حد ، وبأية وسيلة ممكنة !**

ولم يلبث ان احاطها بذراعيه ، رافعا جسدها الى أعلى ، ثم أرقدها على الفراش بجواره ، وأراح رأسه على كتفها ، هامسا باسمها فى توسل ، متحسسا جسدها بأنامله فى مداعبات مثيرة . وبرغم انه كان يتمنى ان تبكى ، الا انها لم تفعل !

ولم يمض وقت طويل حتى كان يواصلها ، بالحالة التى كانت عليها ، مرتدية نصف ملابسها .. وهو يكاد يحسدها ويستكثر عليها اللذة التى تقاسماها !

وبعد فترة ، جردها من ملابسها ثم حملها بين ذراعيه الى المخدع ، وهى مستغرقة فى النوم .. وهناك ، استسلم هو بدوره للنوم ، وقد احتضن يدها بقوة .

***

وفى الصباح ، استيقظت « جوزيه » لتجده مكوما بعرض الفراش .. لقد هاجمه النعاس قبل ان يتمكن من التدثر بالاغطية .. وحدثت نفسها : « يا لها من لوحة غريبة لرجل نائم !.. احدى يديه مفتوحة ، وملقاة على الاغطية ، ووجهه فى الناحية الاخرى ، وساقاه مضمومتان الى صدره .. ان لهذه الطريقة فى النوم اسما ، ترى ما اسمها ؟.. أهو الوضع « العدائى » ؟.. هل كان « ألان » يحن لأمه .. أمه الفظيعة ؟.. ترى هل تنبأ « فرويد » بنساء على

شاكلتها ؟ »

وبدأت تضحك وقد مـــدت يديها كى تتناول كوبا من الماء . « لكم أكره البيكاردى !.. أكره ذلك السائل المعقم ، العديم الطعم ، الذى يسيل من حلقى الى معـــدتى . كما أكره هذه النافذة المغلقة ، وجهاز تكييف الهواء !.. وأكره الخيزران ، وتلك الاقنعة الافريقية التى لا يتجاوز ثمنهـــا دولارين . بل أكره السفر ، ومناظر الطبيعة الاستوائية . **ولكن ، ترى هل أكره هذا الغريب المكوم بعرض فراشى ؟**

« انه رائع الجمال ، وفخذاه طويلتان ناعمتان .. فخذان نحيلتان لفتى يافع ، صغير السن . فخذان بالفتا النعومة ، يلذ لشفتى تقبيلهما . **كلا ، لست أملك ان أكره هـــذا الشاب !**. اننى استدير برأسى قليلا ، فاذا بالغريب يتنهد ، ويتحرك عندما يلمس فمى بشرته ، قبل ان يستيقظ ويفيق .. ولكنه لا يتنهد الآن بسبب انتقاله من النوم الى اليقظة ، وانما من فرط متعته . انه يبـدو ـ وقد بسط ساقيه ـ وكأنه قد هجر أمه ، ليجد عشيقته من جديد .. « أم ذكرياته .. العشيقة التى تبز كل العشيقات ! » .. ترى من قال هـــذا ؟ أهو « بودلير » ، أم « فيرلين » ؟.. لن اعرف أيهما .. مطلقا !

« لقد قبض على مؤخر عنقى ، ثم أرقدنى على الفراش ، وما لبث أن ضمنى اليـه .. انه يهمس الآن باسـمى .. حقيقة اننى أدعى « جوزيه » وهو يدعى « ألان » .. ولكن من المستحيل أن لا يكون لكل هـــذا معنى .. الان ، من

المستحيل أن تسير الامور ـ الآن ـ كما كانت من قبل ، بعد أن حدث ذلك .. من المستحيل أن أرغب فى نطق أى اسم سوى اسمك أنت ! »

***

ـ **لقد** نسيت قبعتك !

قالت « جوزيه » هـذا ، فهز « الان » كتفيـه .. وكان محرك السيارة قد دار ، وراح يرسل أزيزا .. كانت سيارة قديمة ، حمراء اللون ، من طراز « شيفروليه » ..

وعادت « جوزيه » تقول فى الحـاح : « ولكن القيظ سيكون شديدا » .

ـ اصعدى !.. لسوف يعيرنى « براندون » قبعتـه ، فان جمجمته سميكة البشرة !

كان « براندون » قد أصبح الموضوع الوحيد الذى يلذ له الحديث فيه .. وصـار الزوجان « كينيل » هما الوحيدان اللذان يهفو الى أن يراهما .. **وباتت هـذه لعبته الجديدة . فقد اتخذ لنفسه موقف المتفرج ، الذى يشهد قصـة غرام مشبوب ، وهو عاجز عن التدخل ..**

وأصبح يطلق على « ايف » لقب « زميلتى المسكينـة فى العذاب » .. ويرسم على شفتيه ابتسامة ذات معنى ، كلما تحدث « براندون » الى « جوزيه » ..

وأخذ الموقف يزداد سوءا ـ يوما بعد آخر ـ حتى بات لا يحتمل ، برغم محـاولات جوزيه وبراندون وزوجتـه أن يأخذوا الامر مأخذ المزاح . ولقـد حاولت « جوزيه » كل

حيلة : من غضب ، الى جمود ، الى توسل !.. بل انها خرجت ـ ذات يوم ـ بمفردها ، رافضة مقابلة الزوجين ، لكن « ألان » ما لبث أن عثر عليها ، وقضى فترة بعد الظهيرة بأكملها فى الشراب ، وفى التفنى بمفاتن « براندون » ..

***

وكان المتفق عليه أن يقضوا ذلك اليوم فى صيد السمك سويا . ولما كان النوم قد جفا « جوزيه » ، فى الليلة السابقة ، فقد راحت تتطلع شوقا ـ فى غبطة ضارية ـ الى تلك اللحظة ، التى تنفجر فيها «ايف» ، أو «براندون» ، أو هى ، فى ضحكات هستيرية .. فربما شاء الحظ أن يحدث هذا فى ذلك اليوم .

واذ وصل « الان » و « جوزيه » الى الشاطىء ، وجدا « براندون » و « ايف » واقفين فوق الرصيف ، وعلى محياهما ذلك التعبير الكئيب الذى كسا وجهيهما طوال الاسبوع الماضى . وكانت « ايف » تحمل فى احدى يديها سلة مليئة بالشطائر ، **فما ان لمحتهما حتى أشارت بيدها الطليقة اشارة قصدت بها أن تبدو تحية حبور وغبطة . أما «براندون» فقد ابتسم ابتسامة شاحبة** . وكان القارب البخارى الكبير يتحرك فى بطء فى الميناء الصغير ، والملاح على ظهره ينتظر قدومهم .

وفى تلك اللحظة تعثر « ألان » ، فوضع يده على مؤخر عنقه . وهرع « براندون » نحوه ، فأمسك بذراعه ،

متسائلا : « ماذا حدث ؟ »

ـ الشمس .. كان ينبغى أن أرتدى قبعة . لست أشعر بأننى على مايرام .

ثم جلس فوق منصة من الحجر ، وطأطأ رأسه .. بينما راح الآخرون يتبادلون نظرات تنطوى على حيرة وتردد . وقالت جوزيه : « سنبقى هنا اذا كنت مريضا . فمن الجنون أن تخرج الى عرض البحر والشمس ساخنة هكذا » .

ـ كلا . كلا . انكم تحبون الصيد ، فاذهبوا معا ـ انتم الثلاثة ـ واتركونى !

فقال براندون : « سأقلك الى المنزل بالسيارة أولا . فمن المرجح أنك قد أصبت بضربة شمس ، ومن المستحسن أن لا تقود السيارة »

ـ ولكنك تخسر بذلك ساعة من الزمن ، يمكنكم أن تقضوها فى صيد السمك ، وانت مشغوف بالصيد .. كلا ، أفضل كثيرا أن ترافقنى « ايف » الى المنزل ، فهى تكره الصيد ، وأرجح أنها تفضل أن تعنى بى ، أو أن تقرأ لى كتابا !

وسيطرت عليهم فترة صمت ، تطلع فيها « براندون » بعيدا ، بينما خيل الى « ايف » ـ التى كان يرمقه بنظراتها ـ انها قد فهمت ما كان « ألان » يرمى اليه ، فقالت لبراندون :

ـ انها أحسن فكرة . فلقد سئمت صيد سمك القرش

وغيره .. ثم انكما لن تلبثا أن تعودا بعد قليل .

وكانت تتكلم فى هدوء . وفتحت « جوزيه » فاها لتعترض ، ولكنها لم تقل شيئا ، وان راح الغضب يعتمل فى أغوارها : هذا ما يسعى اليه تماما ، ذلك الغبى .. وبدون أن يتعرض لأية مخاطرة .. انه يعرف تماما أن مساحة القارب لا تزيد على أربع عشرة قدما مربعا ، وهناك نوتى على ظهره .. وهاهى ذى « ايف » ترسل نظرات توحى بأنها تكتم أمرا ، بينما أحمر وجه براندون خجلا .. ترى ماذا يقصد حقا ؟ »

ودارت على عقبها ، واتجهت الى المدرج الخشبى المؤدى الى القارب . فقال براندون مرتبكا : « ايف ، هل أنت واثقة .. ؟ »

– بالطبع ياحبيبى ، سأصحب « ألان » الى منزله . أتمنى لك صيدا وفيرا . ولا توغل فى البحر ، فالمد يوشك أن يقبل ..

وكان النوتى يسلى نفسه – وقد نفد صبره – بصفير خافت . وصعد براندون – فى تردد واحجام – الى ظهر القارب ، ثم استند بمرفقيه على الحاجز . ورفع « ألان » رأسه ، ونظر اليهما مبتسما ، وقد بدا فى خير حال . **وبدأ القارب يتحرك فى بطء ، مبتعدا . وفجأة ، صاحت جوزيه : « براندون ، اقفز .. اقفز الى الشاطىء ، فى الحال ! »**

فنظر براندون اليها ، ثم نظر الى الرصيف الذى كان –

فى تلك اللحظة - على بعد ياردة واحدة . ثم قفز الى سياج القارب .. وبوثبة واحدة ، بلغ الشاطىء . وبرغم أن قدميه تعثرتا ، الا أنه ما لبث ان استعاد توازنه ، فصرخت « ايف » .. واذ ذاك سأل الملاح جوزيه : « ماذا حدث ؟ » ، فأجابته دون أن تلتفت اليه : « ها قد انطلقنا » . وصوبت الى « ألان » نظرة التقت بعينيه مباشرة .. وكان « براندون » واقفا على الشاطىء ينفض التراب عن ثيابه بانفعال ، بينما اختفت الابتسامة من شفتى الان .

وبعد قليل ، ابتعدت جوزيه عن سياج القارب ، وجلست الى المجداف . لقد كان البحر رائعا ، وهاهى ذى بمفردها .. انها لم تشعر بمثل هذه الراحة منذ اجيال !.. وكانت السلة قد بقيت على الشاطىء - بطبيعة الحال - فاضطرت الى مشاطرة النوتى طعامه .

***

وكان الصيد رائعا ، فقد علقت بشصها سمكتان من «الباراكودا» ، احتاج صيد كل منهما الى مجهود استغرق ثلاثين دقيقة ، فاذا بها تحس بالارهاق ، والجوع ، والنشوة !.. ولما كان طعام النوتى يتكون عادة من الطماطم و « الانشوجة » ، فقد أطلقا كثيرا من النكات حول فكرة الحصول على شريحة من اللحم ..

وكان النوتى طويل القامة ، مفكك المفاصل بعض الشىء ، ذا بشرة داكنة لفحتها الشمس بشواظها ، وعينين أشبه بعيون كلاب الصيد .. وما لبثت الغيوم أن تكاثفت ..

وتلاطمت أمواج البحر ، فما أن وصلا الى نهاية حـــدود الميناء ، حتى قررا العودة ..

وفى أثناء عودتهما ، رمى النوتى خيطا فى المـاء ، واحتلت « جوزيه » مقعد الصيد ، وقد انهمر العرق من جسديهما بلاتوقف . وظلا يتفرسان فى البحر فى صمت.. ثم أحست بسمكة تبتلع الطعم ، غير أنها تأخـــرت فى سحبهـــا ، فاذا الشص فارغ .. واذ ذاك نادت النوتى طالبـــــة منه طعما جديدا . ولاحظ جهلها باسمه ، فقال : « **اسمى ريكاردو** »

– واسمى « جوزيه » .

– **هل أنت فرنسية ؟**

– نعم .

– **وما أمر ذلك الرجل الذى على الرصيف ؟**

قال « **الرجل** » ولم يقل « **زوجك** » ، فقد بدا أن جزيرة (كى لارجو) لم تكن من تلك الجزر التى يطلب فيهـــا من المرء أن يقدم شهادة الزواج !

فضحكت جوزيه قائلة : « أنه أمريكى »

– أولا يحب صيد السمك ؟

– بلى ، ولكنه أصيب بضربة شمس .

ولم يطرق أحد منهما موضوع الغرابة التى حفت بانطلاق قاربهما ، منذ مغادرتهما الميناء فى الصبـــاح . ولمـــا أحنى رأسه ، لاحظت جوزيه كثافة شعره ، برغم قصره ..

وسرعان ما ثبت طعما جديدا بالشص الكبير ، ثم أشـــعل لفافة ، وأعطاها اياها . فشعرت باعجـــاب لهـــذا التآلف

السريع ، والمعاملة الودية الخالية من الكلفة ، التى اعتاد سكان تلك المنطقة من العالم أن يعامل بها بعضهم بعضا .

ـ هل تحبين صيد السمك بمفردك ؟

ـ اننى أحب أن أخلو الى نفسى .. بين فترة وأخرى .

ـ أما أنا فوحيد على الدوام .. اننى أفضل الحياة هكذا !

واذ ذاك وقف خلفها .. فظنت ، للحظة ، أنه كان يربط ذراع الدفة الى القارب .. ولم يكن ذلك من الحكمة فى شىء ، والبحر يزداد صخبا وعنفا . وبما لبث أن أراح يده على كتفها ، قائلا : « أنك لدافئة ! » . فالتفتت الى الخلف واذا به يتفرس فيها باهتمام بالغ ، بعينيه اللتين كانتا تشبهان عيون الكلاب .. غير أن ملامحه كانت خالية من أى تعبير ينم عن التهديد أو المخاتلة !

وراحت عيناها تتفحصان اليد التى وضعها فوق كتفها ، فوجدتها كبيرة الحجم ، عريضة الكف ، تدل على عدم العناية بها . وازدادت دقات قلبها .. كانت نظرته الهادئة ، الحذرة ، المجردة من أى احساس بالخجل أو الحرج ، تبعث فى نفسها اضطرابا بالغا .. فأخذت تناجى نفسها قائلة : « انه سيبعد يده ، اذا ما طلبت منه ذلك .. وينتهى الامر عند هذا الحد ! » . لكنها أحست بجفاف فى حلقها ، فقالت فى صوت خافت : « اننى ظمأى ! »

فأمسك بيدها .. وكانت تفصل بين سطح القارب و « القمرة » .. خطوتان !

وكانت ملاءات الفراش نظيفة .. وكان « ريكاردو » بالغ العنف ..

.. وعندما عادا الى سطح القارب ، وجدا سمكة ضئيلة معلقة بالشص ، فضحك « ريكاردو » كما لو كان طفلا صغيرا ، وقال : « ياللسمكة المسكينة .. اننا لم نعرها اهتماما يذكر ! »

وكانت لضحكه عدوى ، فسرعان ما شاركته جوزيه اياه . بينما كان هو يمسك بكتفيها . **واذ كانت تحس بسعادة عارمة ، فانها لم تشأ أن تذكر نفسها بأن تلك كانت المرة الاولى التى خانت فيها « ألان » !**

وسألها ريكاردو : « هل السمك الفرنسى بمثل هذا الغباء ؟ »

— كلا . انه أصغر حجما .. لكنه أكثر خبثا !

— أتمنى أن أذهب الى فرنسا ، وأن أرى باريس ..

— وبرج ايفل ؟

— والفتيات الفرنسيات . سأدير محرك القارب ، لنعود .

***

وعادا الى الشاطىء فى بطء .. وكان البحر قد هدأ ، والسماء قد اصطبغت بلون قرمزى صارخ ، أحدثته عاصفة فشلت فى أن تتحول الى أمطار . وبينما كان « ريكاردو » يقود القارب ، راح يلتفت اليها — من برهة لأخرى — مبتسما .. ففكرت جوزيه فى نفسها قائلة : «أن شيئا مثل هذا لم يحدث لى من قبل، طوال حياتى !» ..

ثم أجابت ابتسامته بمثلها . وقبل أن يرسوا ، سألها « ريكاردو » ما اذا كانت تعتزم الخروج للصيد مرة أخرى، فأجابته بالنفى ، متعللة بأنها راحلة عما قريب .

وكان يقف على السطح لبرهة قصيرة ، عندما هبطت الى البر ، فالتفتت الى الخلف ، ملقية عليه نظرة واحدة !

وفى المرفأ ، أخبروها بأن زوجها ومستر ومسز كينيل كانوا ينتظرونها فى بار (سام) .. ووجدت السيارة « الشيفروليه » فى مكانها المعهود . وانضمت اليهم بعد أن اغتسلت وارتدت ملابس السهرة . **وعندما نظرت فى المرآة، خيل اليها أنها قد ارتدت فى مدارج العمر عشر سنوات ، وانها قد استعادت ذلك التعبير الذى ينم عن قدر من الخبث وقدر من الاحساس بالحرج** .. التعبير الذى كان يكسو وجهها — فى باريس — من آن لآخر .. ولم تلبث أن قالت لصورتها فى المرآة : « المرأة اليائسة ، النافذة الصبر ، تكون عادة صيدا سهلا ! » .. كانت حكمة ، طالما رددها صديقها الحميم « برنار » !!

واستقبلها الرجلان فى صمت مؤدب ، وقد هبا واقفين فى شىء من التعجل . أما « ايف » فقد ألقت اليها بابتسامة باهتة .. كان ثلاثتهم قد قضوا فترة بعد الظهيرة فى لعب الورق ، ولاح أنهم قضوا وقتا مملا غاية الملل .. فلما أخبرتهم « جوزيه » بأمر السمكتين « الباراكودا » — اللتين صادتهما — هنأوها .. لكن الحديث ما لبث أن احتضر وخمد ، فلم تحاول بعثه من جديد ..

وجلست ، منكسة الرأس ، تتأمل أيديهم ، واذا بها تجد نفسها — رغما عنها — تحصى أصابعهم ! .. وعندما أدركت ما كانت تفعله ، انفجرت ضاحكة .. فانتفضوا فى أماكنهم متسائلين :

— ماذا دهاك ؟

— لا شىء .. لقد كنت — فقط — أحصى أصابعكم .

— حسنا . على أية حال فانك قد عدت فى حال طيبة ، أما براندون فقد كان « مقبضا » — مثل ماء البرك — طوال فترة بعد الظهر !

— براندون ؟.. لماذا ؟

— لقد جعلته يهجر السفينة . ألست تذكرين ؟

— أوه ، نعم .. بالطبع . الحق اننى لم أشأ أن تقضى « ايف » اليوم معك على انفراد ، فليس بوسع المرء أن يتكهن .. !

فقاطعها « ألان » قائلا : «انك تقلبين الحقائق» . فأجابته فى مرح : « اننا أربعة ، وفى وسعنا أن نمارس لعبة الخطوط المتقاطعة . ألست ترين ذلك يا ايف ؟ » .

فنظرت اليها ايف فى حيرة ، ولم تنبس بكلمة ..

واذذاك تحولت تقول لزوجها : « وبما أن الغيرة كانت تأكل قلبك ، وقد تسلطت على عقلك تماما فكرة اختلائى ببراندون على ظهر القارب ، فلم يكن فى وسعك أن تعير « ايف » اهتماما ، وكان ذلك خليقا بأن يجعلها تحس بالسأم القاتل .. لذلك أرسلت براندون اليكما .. هذا

كل ما فى الامر !.. ماذا سنأكل ؟ »

وسحق « براندون » بقية لفافته بعصبية ، فانه لم يكن يقبل منها أن تسخر – ولو سخرية موهومة – من اليوم البديع الذى كان من الممكن أن يقضياه سويا .. ولبرهة ،



« براندون ، اقفز .. اقفز الى الشاطىء ، فى الحال ! »

(ص ٢٨)

شعرت هى بالأسى والاشفاق نحوه . لكنها كانت قد اندفعت ، فلم يعد بوسعها أن تتوقف . وقال ألان : « ان نكاتك تنم عن ذوق بديع .. أرجو أن تجده ايف مسليا ! » . فأجابت جوزيه : « لازلت محتفظة بنكتة أخرى ، وأنا واثقة من أنكم ستجدونها مضحكة لدرجة لا تتصورونها ، لكنى أحتفظ بها الى ما بعد تناول الحلوى ! »

ولم تحاول أن تكبح جماح نفسها ، فقد استعادت مرة أخرى تلك القسوة المتوحشة ، وشهوة العنف .. تلكما الصفتان الذميمتان اللتان لم يكن يرجى لها منهما خلاص، واللتان ظلتا لسنوات طويلة من خصائص طبيعتها .
وأحست فى أعماق نفسها بضحكات الحرية .. بانفصال نفسها الرائع عن حياتها الاولى ، وقد بعث الى الحياة ثانية . فنهضت عن مقعدها متجهة الى داخل المطبخ ..

***

وبينما كانوا يتناولون عشاءهم ، سادهم صمت مقبض ثقيل ، لم تقطعه سوى نكات « جوزيه » وملاحظاتها عن الطعام . ولم يلبث أن انساق براندون وزوجته معها فى الضحك ، وبقى « ألان » يحملق فيها فى صمت ، محتسيا الكأس تلو الكأس !

وفجأة شعرت جوزيه بالشحوب يسرى الى وجهها ، فقالت : « ها قد قدمت الحلوى » . وكان الساقى قد أحضر لهم كعكة مستديرة ، تعلوها شمعة واحدة . ثم وضعها فوق المائدة ، فتساءلت : **« شمعة واحدة ؟! ..**

لاريب فى أنها احتفال بأول مرة خنتك فيها ! »

وسمروا فى أماكنهم ، وقد راحت نظراتهم تنتقل بين « جوزيه » والشمعة ، وكأنهم كانوا يحاولون ايجاد حل للغز ما . فما لبثت ان قالت فى نفاد صبر : **انه نوتى القارب ، ريكاردو ! »** .

واذا بألان ينهض بعد تردد قليل . فنظرت « جوزيه » اليه ، ثم نكست نظراتها ، بينما كان يغادر المكان فى بطء ، فقالت لها ايف : « جوزيه .. يالها من مزحة غير مستساغة ! »

ــ كلا . فان « ألان » يفهمها جيدا !

واذ كانت تتناول لفافة ، ارتعشت يدها . واستغرق الامر من « براندون » دقيقة كاملة كي يجد « ولاعته » ثم يشعل لها اللفافة . وما لبثت جوزيه ان سألت ، وقد أحست بالارهاق يضنيها : « عما كنا نتحدث ؟ » !!

***

وأحدث اغلاق باب السيارة التى عادوا بها صوتا عاليا . ووقفت « جوزيه » بجواره مترنحة ، فراح « براندون » و « ايف » ينظران اليها فى صمت . ولم يكن بالمنزل ضوء ما ، يدل على وجود « ألان » فيه ، غير ان السيارة «الشيفروليه» كانت واقفة فى مكانها ، امام الباب .. واخيرا قالت ايف : « لا بد أنه نائم ! » . ولكنها لم تكن مقتنعة بذلك . وهزت « جوزيه » كتفيها .. كلا ، لم يكن نائما ، بل كان ينتظر حضورها . لابد أن معركة حامية كانت على

وشك النشوب . وكانت « جوزيه » تكره الشجار ، بكل صوره ، أما مع « ألان » ، فقد كانت تكره ـ بوجه خاص ـ ان تبادله ألفاظ السباب . على أية حـــال ، لم يكن لها أن تلوم أحدا سوى نفسها ، فأخذت تناجي نفســـــها ، كما اعتادت كثيرا أن تفعل : « يالى من غبية .. بالغة الغباء ! .. لمـــاذا لم أدع فمى مغلقا ؟ »

واستدارت نحو براندون فى يأس ، هاتفـة : **« لا أظننى سأحتمل ذلك . خذنى الى المطـــار يا براندون ، واقرضنى نفقات السفر . فاننى راحلة الى فرنسا ! »**

فابتدرتها ايف قائلة : « لا ينبغى أن تفعلى ، والا كان هذا منك .. جبنا ! »

ـ جبن ، جبن ؟! .. ماذا تعنين ، بحق الســـماء ؟ .. اننى احاول أن أتجنب مناقشة لا طائل منها . هذا كل مافى الامر .. انك تتحدثين كأطفال « الكشافة » .. جبن ؟!

وكانت تتحدث متهدجة الانفاس ، محـاولة ـ فى يأس ـ ان تجد لها منفذا من مأزقها .. المأزق الذى تمثـــل فى انتظارها اللوم من شخص له الحق فى ذلك . وهو الشىء الذى لم تستطع أن توطن نفسها على تقبله . وقال لهـــا براندون : **« لابد أنه ينتظر حضـــورك ، فلا شك ان الصدمة قد هزته هزا ! »**

ووقف الثلاثة يتهامسون ، وقد بدوا اشبه بمتـآمرين يغلب عليهم الفزع والرعب ..وأجابت جوزيه : « حسنا . ليس بوسعي أن أرجىء الازمة الى أكثر من ذلك .. ومن

الافضل أن أدخل »

ـ هل تحبين أن نبقى بعض الوقت ؟

وكان وجه براندون يحمل نظرة تفصح عن النبل الحزين ، فقالت جوزيه لنفسها : « لقد غفر لى عاشقى العجوز ، وان كان قلبه ينزف دما ! » ، وابتسمت فى رقة . وما لبثت أن لاحظت الرعب والفزع المرتسمين على وجهى « براندون » و « ايف » ، فاستدركت قائلة فى تأكيد : « أنه لن يقتلنى . وحتى اذا .. ! » ، ولوحت اليهما بيدها مودعة ، ثم أولتهما ظهرها ، ودخلت فى استسلام !

لو أنها كانت فى باريس ، لاختلف الامر كل الاختلاف .. كانت ـ اذذاك ـ تقضى الليلة بصحبة أصدقائها المرحين ، ثم تعود الى دارها مع الفجر ، وقد هد الاجهاد قواها ، فلا تخشى مغبة فعلتها . أما هنا ، فقد تلكأت مع اثنين من النقاد العابسين ، ومن ثم أحست بأن القدر الذى كانت تملكه من الشجاعة يتبدد تدريجا ، فعادت تناجى نفسها : **« انه قد يقتلنى .. فهو مجنون الى هذا الحد ! »** .. غير انها ما كانت لتؤمن بذلك حقيقة ، بل كانت تدرك أنه سيغتبط بتلك الفرصة ، وسيقتنص ذلك العذر كى يعذب نفسه .. سيصر على معرفة كل ما حدث بينها وبين النوتى .. دقيقة بدقيقة !

وما لبثت أن تنهدت ، محدثة نفسها : « ياالهى .. ماذا ترانى افعل هنا ؟ » .. وشعرت بحنين الى أمها ، ومنزلها ، وبيئتها القديمة ، وأصدقائها .. لقد جاهدت كثيرا كى

تكون متسعة الافق بحيث تقنع نفسها بمغادرة وطنها (فرنسا) والسفر الى (أمريكا) ، كى تتزوج من غريب . كانت تؤمن بأن فى وسعها أن تبدأ حياتها بداية جديدة . وها هى ذى الآن ، فى ليلة حارة من ليالى فلوريدا ، تقف مستندة الى باب منزل مصنوع من الخيزران !

واذذاك أحست برغبة فى البكاء .. فى الصياح طالبة النجدة كما يفعل طفل فى العاشرة ، اذ يخشى عقابا .. وما لبثت أن دفعت الباب ثم توقفت فى الظلام .. لعل « الان » كان نائما حقيقة .. وربما كان بوسعها أن تمشى على أطراف أصابعها حتى تصل الى فراشها ، دون أن يحس بها ! .. وراودها احساس طاغ بالامل ؛ مثلما كان يحدث عندما كانت تعود من المدرسة ، حاملة معها تقريرا سيئا .. كانت - اذذاك - تقف فوق السجادة الموضوعة أمام الباب ، كى تستمع الى الاصوات الغامضة داخل المنزل ، متسائلة عما اذا كان والداها قد أقاما مأدبة لبعض الضيوف ؟ .. فاذا كان الامر كذلك ، اطمأنت الى نجاتها من العقاب !

هذا الاحساس بالذات ، هو الذى راودها حينئذ .. فقد أدركت - وان لم تجد تفسيرا لهذا الادراك - ان فزعها من زوجها الغاضب لم يكن بأكثر من خوفها - منذ خمسة عشر عاما - من والديها .. بالرغم من أنهما لم يكونا يكترثان لحصول أحد على « صفر » فى الجغرافيا .. ولو كان الشخص الذى حصل على ذلك « الصفر » هو ابنتهما !.. وقد يكون هناك حد معين لتعذيب الضمير ، والتخوف من

عواقب الامور .. ولعلها بلغت ذلك الحد فى سن الثانية عشرة ، فلم تعد تخشى العواقب !

***

وأخيرا ، امتدت يدها الى مفتاح النور . وما ان فاض الضوء ، حتى شاهدت « ألان » جالسا فى احدى الارائك ، ينظر اليها . فقالت فى غباء : « أهذا أنت ؟ » .. ثم عضت شفتيها .. وكان فى استطاعته أن يجيبها جوابا مفحما ، لكنه فضل أن يسكت .. وكان وجهه شاحبا ، وليس ثمة أثر لزجاجة شراب بالقرب منه . واستطردت قائلة : « ماذا تفعل هنا ، فى الظلام ؟ » . ثم جلست فى وداعة على بعد ياردات قليلة منه !

واذ ذاك وضع يده فوق عينيه ـ مثلما فعل مرارا من قبل ـ فتولتها رغبة مفاجئة فى أن تلقى بذراعيها حول عنقه، كى تهدىء من روعه ، وتزعم أنها كانت تكذب !

لكنها لم تستطع أن تقوم بأية حركة !

وأخيرا ، قال « ألان » فى صوت هادىء : **« لقد طلبت المحامى تليفونيا ، وقلت له اننى راغب فى الطلاق . فنصحنى بأن أذهب الى مدينة (رينو) أو أى بلد آخر .. لأطلب الطلاق على أساس خيانة الطرفين ، أو خيانتى أنا ، اذا شئت ! »** .. فهتفت جوزيه : « أواه ! » .. وأحست بالذهول وبالراحة فى آن واحد ، غير انها لم تستطع أن ترفع عينيها عنه . واسترسل ألان : « أظن أن الطلاق هو أفضل حل .. بعد الذى حدث » .. ثم نهض ووضع

« اسطوانة » فوق الحاكى .

وأطرقت جوزيه برأسها علامة الموافقة ، واذا به يعود اليها فجأة ، حتى أنها قفزت مجفلة !

ـ ألست توافقين ؟

ـ قلت « نعم » .. أو على الاقـــل ، اطرقت برأسى بما يفيد « نعم » !

وسرعان ما ملأت الموسيقى جو الغرفة ، فوجدت «جوزيه» نفسها ـ رغما عنها ـ تحاول أن تعرف مؤلف اللحن .. أهو « جريج » أو « شومان » ؟!.. لقد كانت هنالك اثنتان من (الكونشرتات) ، اعتادت أن تخلط بينهما دائما !

وعاد « ألان » يقول :

ـ كذلك أتصلت بأمى ، وأفضيت اليها ـ فى ايجاز تام ـ بما وصلت اليه الامور بيننا ، ولما أخبرتها بقرارى ، وافقت على الفور .

ورغم أن جوزيه لم تنبس بحرف ، فان التعبـــير الذى ارتسم على وجهها ـ عندما نظرت اليه ـ كان ينطق بالقول : « لا يدهشنى من هذا شىء .. البتة ! » . وما لبث « ألان » أن استطرد قائلا فى صوت خافت ، وصل بالكاد الى أذنيها : **« بل ان أمى قالت لى أنها سعيدة بأن ترانى أتصرف ـ أخيرا ـ تصرف الرجال ! »** .

واذ كان يوليها ظهـره ، فان « جوزيه » لم تستطع أن ترى التعبير الذى ارتسم على محياه ، لكنها تصورت ـ فى خيالها ـ طبيعة ذلك التعبير . وحاولت أن تتقـدم ـ فى

تردد ـ اليه ، لكنها توقفت فى اللحظة التى استطرد فيها الان يقول : « تصرفات الرجال .. هل تتصورين ؟ » .. ثم التفت اليها ، مستأنفا : « **أتعتقدين ـ حقا ـ ان من تصرفات الرجال ان يهجر الرجل المراة الوحيدة التى احبها ، لمجرد انها قضت نصف ساعة بين أحضان صياد من صيادى سمك القرش ؟! »**

وجه « ألان » ذلك السؤال فى صراحة تامة ، وكأنه يوجهه الى صديق قديم .. دون أن يخالط صوته اثر لتهكم او استنكار ! .. ففكرت جوزيه ، محدثة نفسها : « هناك شيء فى شخصيته يجعلنى أتعلق به .. شيء جنونى يعجبنى ! » . لكنها أجابته : « لست أعلم .. كلا ، لست اعتقد ذلك حقيقة ! »

ـ انك تصارحيننى بحقيقة ما تبطنينه من مشاعر ، ألست كذلك ؟.. انك قادرة على أن تكونى صريحة بشأن اى شيء ، وكل شيء .. وهذا أحد الاسباب التى تجعلنى اعشقك بمثل هذه القوة ، وهذا العمق !

فنهضت من مجلسها .. ووقف الاثنان وجها لوجه ، ينظر كل منهما الى الآخر .. وقد تزايد فهم كل لصاحبه !.. فلما القى « الان » ذراعيه على كتفيها ، انزلقت بجسدها الى أحضانه ، ثم أراحت خدها فوق صدره ..

ـ اريدك ان تظلى معى . وبالطبع لن اغفر لك .. ان اغفر لك مطلقا !

ـ أعلم ذلك .

ـ لن تكون لنا عودة الى الماضى ، ولا بداية جديدة .. كما أن « ما فات ، لن يكون قد مات » ـ فأنا لا أعتنق مفهـوم أمى فى الرجال ـ وأنت تعلمين ذلك .

فأجابت جوزيه ، وقد أحست برغبة فى البكاء : « نعم . أعرف ذلك » .

ـ انك مجهدة وكذلك أنا .. وفضـلا عن ذلك ، فانى قد فقدت صوتى . كنت مضطرا الى أن أصرخ بأعلى صوتى ـ فى «التليفون» ـ كى تسمعنى أمى فى نيويورك !.. هل تستطيعين أن تتصورينى أصيح : « لقـد خانتنى زوجتى ! » .. انه لأمر يبعث على الضحك ، أليس كذلك ؟

ـ أجل . مضحك .. والآن كل ما أرغب فيه هو النوم !

فأفلتهـــا من بين ذراعيه ، ثم رفع « الاسطوانة » عن الحاكى فى حذر ، قبل أن يستدير اليها متسائلا :

ـ هل كان بارعا .. فى مطارحتك الهوى ؟ .. أخبرينى، كيف كان الامر ؟ !!

***

كان شهر سبتمبر قد أوشك على الانتهاء . وبرغم انه كان مفروضا أن يكونا خلاله فى (نيويورك) ، الا أن أحـدا منهما لم يشر الى الامر ، ولو تلميحا . فقد كان الان يحتقر «الناس الآخرين» ، بينما كانت جوزيه تفضل ـ بالتأكيد ـ بقاءها معه على انفراد ، على تحمل نوبات غيرته ، التى كانت تثيرها أتفه نظرة أو أدنى ملحوظة ! .. وبدا كأن خطته قد أثمرت ، فى هذا الشأن ، فقد غدت أوربا وأمريكا من خيال

« جوزيه » ، ولم يبق فى حياتها سوى وجه « ألان » القلق ، الذى كان يزداد نحولا واسمرارا ..

أما آل « كينيل » فقد ظلا يترددان عليهما ، غير أن علاقتهما بهما لم تعد وثيقة كما كانت من قبل . فمنذ حادث « ريكاردو » ، أخذ « ألان » يبدى لبراندون ازدراء مهينا . وكثيرا ما قال لجوزيه : **« لو أن ذلك الحمار لم يقفز من القارب ككلب من كلاب الصيد ، عندما طلبت منه ذلك لما .. »**

أما « جوزيه » فلم تحاول أن تشير — ولو من بعيد — الى سخف تلك المناقشة . هذا فضلا عن أنها كانت قد سئمت الحديث فى موضوع « ريكاردو » ، والاجابة عن أسئلة « ألان » المتواصلة عن أخلاقه ، وضاقت بالمبادرة بكلمة « لا » كلما سألها عما اذا كانت تفكر فيه !

بل انها كفت عن التفكير اطلاقا . وباتت تقضى جل وقتها داخل غرفتها نصف المظلمة — المزودة بجهاز لتكييف الهواء — منهمكة فى قراءة الروايات البوليسية .. وفيما عدا ذلك ، ظلت هادئة ، مبتسمة ، متبلدة الشعور . **ثم انتابها هاجس بأنها ستموت فى فلوريدا ، ذات يوم بديع الطقس ، دون أن يعلم أحد — بما فى ذلك هى نفسها — سبب موتها !**

وكان ألان لا ينفك يحوم حولها ، مضيقا عليها الخناق بأسئلته — التى لم يكن ينضب لها معين — عن حياتها الماضية فى باريس .. تلك الاسئلة التى كانت تقود

حتما – فى النهاية – الى الخوض فى موضوع « ريكاردو » . فلا يلبث أن ينشب بينهما شجار ، كانا يتبادلان خلاله ألفاظ السباب ، ثم ينتهى الامر بهما الى أن يضمهما الفراش المصنوع من الخيزران !

وكانت تتوقع ذلك وترقب حدوثه ، مثلما ترقب الطيور زحف الثعبان ، كما توحى الامثال الشعبية .. وذات مرة ، قال « ألان » لها : « لابد انك تجدين – فى أعمق أعماقك – لذة فى ذلك ! » . وأذهلتها الفكرة : فلعلها غدت فى النهاية تستعذب أن يعاملها زوجها كأنها « آلة » لاشباع شهواته ، وليست كائنا بشريا له استقلاله الذاتى !

وقضت الليلة بطولها تفكر فى حالها ، فأدركت – فى نهايتها – انها قد غدت مسلوبة الارادة ، ولم تعد لديها قدرة على المقاومة . لكن الحال لم تعجبها . كلا ، انها لم تطلب من رجلها أن يكون عاشقا مدنفا بها ، لا يفكر فى سواها ، بل كانت ترغب فى أن تشاركه حياته وآماله .. وبالتأكيد ، لم تعد تشعر بذلك الزهو الباطل ، الذى كان يثيره ذلك العشق فيها ، فى يوم من الايام !

***

وذات ليلة ، استجمعت جوزيه شتات شجاعتها ، فتوسلت الى « ألان » أن يسمح لها بأن ترحل بعيدا ، الى أى مكان تخلو فيه الى نفسها .. لكنه رفض ، متعللا بالقول : « اننى لا أستطيع أن أعيش بدونك ، فاذا كنت راغبة فى هجرى ، فاهجرينى . **اما أن ننفصل نهائيا ، واما أن لا نفترق**

على الاطلاق !»

ــ اذن ، فسأهجرك !

ــ بالطبع ستفعلين .. ذات يوم . ولكن ، الى ان يحين ذلك الوقت ، فلن أفرض على نفسي أسبوعين من العذاب دون داع . ما زلت أحتفظ بك ، ومن ثمة فانى أعتزم أن أستمتع بذلك الى أقصى حد !

وضحك . غير أنها لم تستطع أن تقنع نفسها بكراهيته ، بل انها لم تجد الشجاعة لهجرانه . وتولاها احساس بالفزع والخوف ، اذ انه لم يفعل يوما فى حياته شيئا هاما ، خليقا بأن يبرر ــ أمام عينيها ــ أن تنسب اليه مسئولية التسبب فى تحطيم حياة انسان آخر أو وفاته .. انه لم يملك أن يفعل شيئا ، ولو كان هذا الشىء هو اليأس والقنوط . فلم يكن ثمة شك فى أنها هى التى كانت تدمر حياتها ، كما قال براندون .. حقا ، افتراها كانت تفعل شيئا آخر ؟.. وما لبثت أن ساءلت نفسها : « ولكننى كنت سعيدة فى حياتى .. ومع ذلك ، فماذا جنيت ؟.. حياة فاضلة الى حد معقول .. أصدقاء أوفياء .. مزاج هانىء لم يكن كافيا ليصمد لجنون رجل فى الثلاثين ؟! »

ــ لا يبدو اننا سعيدان فى حياتنا .

ــ اننا نتمتع بقدر من السعادة ، ولفترة من الزمن ، (وكان ذلك صحيحا) ، أما عن نفسى فاننى أنتوى السير فى الامر الى نهايته .. **ساضنيك وأضنى نفسى أيضا . لكننى لن أتخلى عنك مطلقا ، ولو لدقيقة من الزمن** . فنحن مخلوقان كتب

عليهما أن يعيشا متقاربين ، وقد التصق كل منهمـــا بالآخر التصاقا متينا لا فكاك منه . **هذا ما يطلق عليه ((حبا)) !**

ــ بل نحن مخلوقان تفوح منهما رائحة المال الكريهة !.. لو انك كنت تعمل ..

ــ أشكر الله أن الظروف لا تفرض على ذلك .. **ولو اننى اضطررت للعمل ، لاخترت لنفسى أن أكون صياد سمك ، كى أصحبك معى فى قاربى ، اذ يبدو ان بك ضعفا نحو صيادى السمك !**

وكما توقعت جوزيه أن يحدث ، تكررت نفس القصـــة من جديد . الا انها لم تكن بالشكل الذى عهدته من قبل ، فقد أوتى ((ألان)) صفة واحدة تفـوق باقى رذائله تأثيرا : كان متهورا ، غير مكترث بنفسه الى درجة انه شرع ــ ذات شتاء ــ فى الانتحار ، ومنذ تلك اللحظة فقد تماما حبه لذاته ، ولم يعد ينظر الى نفسه فى تقديس ، بنفس الطريقة النابيــة التى يتبعها غيره من الناس .. بل لم يعد يحترم نفسه !

ولم يكن يملك أى دفاع ضد ((جوزيه)) ، فكان تصرفـه معها أشبه بما لو انه كان يقول لها فى بساطة : **((اننى أحبك . فلو هجــــرتنى ، فلن يستطيع شىء أن يبعث الراحة فى نفسى .. ولا البكاء !))**

وكان ذلك التصرف يفزعها .. فقد بات ((ألان)) لا يعير وسامته اهتماما ، بينما كانت هى تجد لذة فى كونها جميلة.. وصار لا يهتم بالمال ، فى حين انها كانت تستمتع بانفاقه .. وكان لاهيا عن وجوده ، بينما كانت هى تستمتع بالحياة ..

وكانت هذه « اللامبالاة » تتكشف لها وحدها ، وبطريقة مخيفة ، مفزعة !!

وقالت له : « يالك من انسان غريب الاطوار !.. لو انك اتخذت أمك سببا ، ووسامتك وأموالك وسيلة ، لكان فى وسعك أن تجعل (كابرى) بأسرها مجنونة بك ! »

ــ ولغدا فى وسعك أن تعيشى حياة هادئة .. لكن المشكلة هى اننى كنت دائما أحب النساء .. أو ــ على الاصح ــ كنت أظفر دائما بالنساء .. الى أن تزوجتك . غير اننى لم أحب أى شىء ــ قبلك ــ حبا صادقا . لذلك ، كان جسدك ــ فى الحقيقة ــ أول جسد له قيمة لدى ..

واذ ذاك تطلعت اليه فى قليل من الذهول والحيرة .. حقا لقد عشقت رجالا آخرين غيره ، أو ــ بالاحرى ــ أجسادا غيره .. **ولقد تركت ليالى باريس وشواطىء البحر الابيض المتوسط على جسدها آثارا لا تمحى .. تلك الآثار الرقيقة التى كان « ألان » يكرهها ، والتى كانت هى ترفض أن تتبرأ منها !**

وكان ما تأخذه على « الان » فى تصرفاته ، هو انه كان يكشف النقاب أمامها عن ماضيه الشديد البرودة . وكانت هذه البرودة تشيع لونا من الراحة فى النفس .. بل انه كان يجد هذا الماضى مدعاة لفخره وزهوه .. كلا ، لم يكن «الان» يشعر بالفخر حقيقة ، فالواقع انه لم يؤت ادراكا لاتجاه معين ، ولا اية فكرة عما كان يسعى اليه فى حياته ، بل كان التيار يجرفه من ازمة الى ازمة ، ومن انفعال الى انفعال ،

فكان أشبه برجل كسيح ، أو رجـــل امين الى أقصى حدود الامانة . ولم تكن « جوزيه » تدرك اى الرجلين هو ، ولاكيف يحق لها ـ اذا كان أول الرجلين ـ ان تقول له : « انظر هنا ، انك مخلوق بشرى ،فيجب عليك أن تشفى وان تحـاول أن تتحسن » .. كما انها لم تكن تعرف ـ فى حالة انطباق الصفة الثانية عليــه ـ ما اذا كان يتعين عليها أن تقنعه بخطـأ ممارسته للامانة ، وبأنه لا بد من أن ينزل للمجتمع عن بعض التزمت .. وان هنـــالك ألوانا ورعة من الغش والخيـــانة ترتكب !.. ومع ان مثل هذه الالوان كانت ضرورية ولا شك، الا انها لم تكن موقنة من أن لها ما يبررها . فقد كان الذين يتحدثون عن المطلق ـ أو الكمال ـ يثيرون اشمئزازها ، اكثر من أولئك الذين لا يعيرونه ادنى التفـــات .. ولم يقـــدر لـ « ألان » أن يتحدث فى هذا البتة !

***

وكانت أكثر ساعاتهما هناءة ، فى منتصف الليل ، بعد ان يكون كل منهما قد شبع ارهاقا للآخر . وفقـا لمنهج ثابت ، متبع بينهما .. اذ كان الانهاك يلين قسمات وجه « ألان » ، فيرده طفلاً ، يتلعثم فى الكلام ..

فى تلك اللحظات ، كانت « جوزيه » تتحدث اليه فى رقة وحنان ، محاولة أن تنفذ بكلماتهـــا الى عالم كان « ألان » مضطرا الى أن يعيش فيه ـ لمدة ساعات قلائل ـ وحيدا ، بدونها .. فكانت تحدثه عن مدى قوته ، وارهاف احساسه، وجاذبيته . كانت تكلمه عن نفسه ، وكيف انه فذ ، لا مثيل

له .. كانت تسعى الى أن يعيد العلاقات بينه وبين نفسه الى ما كانت عليه فى الماضى البعيد ، وان تحمله على أن يهتم بنفسه . فكان يسألها فى غبطة ، وفى صوت يشبه صوت الأطفال : « أتعتقدين ذلك ؟ » .. ثم يستغرق فى النوم بجوارها ..

كانت لا تفتأ تظن انه لن يلبث أن يستيقظ — ذات صباح — محبا لذاته ، مستقلا .. وان تصرفا بسيطا منه سيثبت لها ذلك .. كان يتمطى ثم يبحث عن صندوق لفافاته ، دون أن ينظر اليها أولا . وكانت تتظاهر — فى بعض الاحيان — بأنها مستغرقة فى النوم ، كى ترى ما كان يفعل بمجرد يقظته .. فكان يمد يده — فى اختلاج عصبى — ليستوثق من انها بجواره . وما ان يطمئن خاطره ، حتى كان يفتح عينيه ، ثم يرفع جسده فوق مرفقه ، ويأخذ فى تأملها وهى نائمة ..

وذات صباح ، نهضت من فراشها مبكرة ، لتتأمل الفجر ، واذا به يصرخ فى ألم حقيقى .. فهرعت اليه ، وراح كل منهما يحملق فى الآخر ، دون أن ينبس كلاهما بكلمة . وما ابثت أن عادت الى الفراش ، وقالت له : « انك لست رجلا ! »

— ماذا تعنيين بأن أكون رجلا ؟ .. اذا كنت تقصدين أن أكون شجاعا ، فأنا شجاع ، وكلى رجولة .. وأنانية أيضا !

— ان الرجل جدير بأن يكون قادرا على أن يعيش ، دون أن يكون فى حاجة مستمرة الى شخص آخر بجواره .. سواء كان أمه أو زوجته !

— لم أكن يوما فى حاجة الى امى ، الا اننى اهواك ..

وليس عليك سوى ان تقرأى مؤلفات « بروست » .. فاذا كنت فى حاجة الى رجل يحميك ، فأنا هنا !

– ان ما أحتاج اليه – فى الوقت الحاضر – هو الهواء .. لا الحماية !

– هواء عرض البحر ؟.. ريكاردو ؟

وما أن سمعت عبارته الاخيرة ، حتى غادرت الغرفـــة ووقفت فى مدخل الدار ، وقد تداعت أعصـــابها ، من فرط الحر .. وكانت – فى بعض الاحيان – تذرف الدموع ضيقا ، ثم تروح تلعق بلسانها العبرات التى تسيل على وجنتيها ، كما تفعل التلميذة الصغيرة .. وبعد فترة كانت تعود اليه ثانية ، فكان « ألان » يضع على الحاكى اسطوانة يعجب بها كلاهما ، ثم يحدثها عن الموسيقى – التى كانت معلوماته عنها وافرة – وأخيرا ، كانت لا تجد بدا من الرد عليه .. وهكذا كان الوقت ينقضى ..

وفى أحد الايام الاخيرة من شهر سبتمبر ، وصلت اليهمـــا برقية من أم « ألان » . كانت توشك أن تجرى لها عمليـــة جراحية ، فأعدا حقائبهما ، وغادرا – بقلبين مثقلين – ذلك المنزل ، الذى تمتعا فيه بقدر وافر من السعادة ..

فترة ركود

امتلأت الغرفة البيضاء بصناديق صغيرة من «السيلوفان» ، ضمت زهورا شـــاحبة من (الاوركيديا) بدأ الذبول يدب

فيها . ورمقت « هيلين آش » زوجة ابنها بتلك النظرة التى كانت شائعة عنها ، والتى كانت تشبه نظرة الصقر .

ـ حسنا ، ما أخباركما ؟ لقد رأيت الان هذا الصباح . انه يبدو على ما يرام ، الا أن أعصابه متوترة !

ـ أحسب انه كان دائما هكذا .. اننا ـ على أية حال ـ على ما يرام يا أماه .. فكيف حالك أنت ؟ يبدو ان الجراحة لن تكون خطيرة ، أليس كذلك ؟

واذذاك غاضت نظرة الصقر ، وحل مكانها تعبير ينم عن الاستسلام ، فقالت الحماة : « ان الجراحات التى تجرى لغيرك ، تبدو دائما غير ذات شأن .. حتى فى نظر أقرب أقربائك ! » فأجابتها « جوزيه » بتلطف : « وحتى فى نظر الجراحين ، فى حالتك هذه .. وهذا ما يطمئننى ! »

وسادت بينهما فترة صمت . لم تكن « هيلين آش » تحب أن يفسد عليها أحد تمثيلها . **وكان دورها ـ فى ذلك اليوم ـ يتلخص فى التوفيق بين ابنها ، الدمث الخلق ، وزوجته ، قبل أن تستسلم هى للجراحة الخطيرة** .. فوضعت يدها على ذراع « جوزيه » . واذ ذاك لم تتمالك هذه من أن تعجب بالخواتم التى تزين أصابعها ، فهتفت : « يا له من ياقوت أزرق رائع ! »

ـ لسوف يؤول اليك قريبا .. اجل ، سيؤول اليك !

وأشاحت « جوزيه » بيدها ، ولكن «مسز آش» استمرت تقول : « حقا انها ستؤول اليك .. فى القريب العاجل .. ولسوف تساعدك على اجتياز محنة وفاة عجوز متعبة مثلى!»

وكانت تتوقع من « جوزيه » ان تتظاهر بالاعتراض على قولها ، وأن تتحدث حديثا مستحبا عن عمرها وصحتها ، وان تطنب فى ذكر أخلاقهـا ، لكن الاجابة التى حصلت عليهـا كانت مغايرة لذلك تماما ، فقد قالت « جوزيه » وهى تنهض واقفة : « **أوه ، كلا . أرجو ألا تشرعى فى هذا أنت الاخرى .. لن أبكيك وانوح عليك ايضا . أرجو ان لا يكون فى العائلة عم عجوز فى حاجة الى عطف هو الآخر !**

— لماذا يا عزيزتى ؟.. ان أعصابك متوترة ، مثلنا جميعا !

— نعم . ان أعصابى — أنا الاخرى — متوترة .

— لكن فلوريدا ..

— ليس فى فلوريدا غير الجو الصحو .

— أحقا ، هذا كل ما هنالك ؟

وادهشت لهجتها جوزيه ، فراحت تحملق فيها .. بينمـا أطرقت هيلين برأسها .

— لقد اتصل « ألان » بى .. تليفونيا . والآن بوسعك أن تصارحينى بكل ما حدث . وسيكون الامر سرا بيننا !

— **اتعنين .. موضوع « ريكاردو » ؟!**

— أكان هذا اسمه ؟ لقد كاد « ألان » أن يجن ، و ..

وأمسكت عن الكلام ، ثم عادت تهتف بها : « جوزيه ! »

كانت « جوزيه » قد غادرت المكان ، ولم تهدأ نفسا الا فى الخارج . وكانت شوارع نيويورك مشرقة الشمس ، صاخبة، وهواؤها لاذعا ، مثيرا ، كالعهد به دائما . وسارت تفكر فى عشيقها : « ريكاردو .. لسوف يسوقنى هـــذا الاسم الى

الجنون ! » .. وراحت تحاول أن تستعيد صورة «ريكاردو» فى ذاكرتها ، ولكنها لم توفق .

.. وكان الان فى تلك الاثناء مشغولا بتوقيع أوراق خاصة بأمه ـ وهو العمل الوحيد الذى كان يرتضى أن يتواضع فيقوم به ـ لذلك قررت أن تتمشى فى الطريق المحفوف بالاشجار .. وعلى الفور ، استعادت النشوة بالرائحة الغريبة التى تميز شوارع نيويورك ، وضوضاء الجماهير ، واللذة التى تحسها من جراء السير بحذاء ذى كعب عال .

وكانت تبتسم ابتسامة مشرقة ، عندما صادفت ((برنار)) ، فوقف كل منهما يحملق فى الآخر ـ تحدوهما دهشة مشتركة ـ قبل ان يرتمى كل منهما بين ذراعى الآخر !

ـ جوزيه . لقد ظننت انك مت !

ـ كلا .. بل تزوجت فقط !

فضحك .. وكان «برنار» مغرما بها الى حد الوله ـ وكان ذلك فى باريس منذ سنوات ـ فاستعادت صورته كما كان فى ذلك الوقت ، عندما وقف بقامته النحيلة ، والاسى يرتسم على وجهه ، مرتديا معطفه القديم ، وهو يودعها والدموع تكاد تطفر من عينيه .. وها هو ذا الآن واقف أمامها يبتسم ، وقد صار جسمه أكثر امتلاء ، وبدت بشرته داكنة .. وعلى حين غرة ، شعرت كما لو انها قد استعادت ـ فى لحظة واحدة ـ كل أسرتها ، وماضيها بأكمله .. بل شعرت كأنها قد «عثرت على نفسها» .. فراحت تضحك .

ـ برنار .. برنار .. ما أبهج أن أراك ثانية . ماذا تفعل

فى نيويورك ؟

ـ لقد قامت احدى دور النشر بطبع كتابى هنا .. فلعلك تعلمين اننى حصلت على جائزة .. أخيرا !

ـ والآن ، أصبحت تأخذ نفسك مأخذ الجد ؟

ـ بل منتهى الجد . لقد أصبحت أكتسب مالا وفيرا .. وأفتن النساء كذلك ، كما تعلمين .. فأنا الاديب الذى أخرج لتوه احدى روائعه !

ـ أهى من الروائع ؟

ـ كلا ، بل مجرد رواية بيعت منها آلاف النسخ .. ولكن من الواجب أن أعترف بأننى لا أفكر فى الامر الا قليـــلا . فلنذهب لنتناول شرابا !

واصطحبها الى احدى الحانات ، حيث راحت تستمع اليه مبتسمة ، وهو يحدثها عن باريس ، وأصـــدقائهما .. وعن نجاحه . **ومرة أخرى ، استشفت فيـه ذلك المزيج من المرح والمرارة ، الذى كانت دائما تحبه .. لقد اعتــادت أن تنزله من نفسها منزلة تقرب من منزلة الاخ . الا ان ذلك لم يكن ما يبتغيه منها !..** ولقد جاهدت نفسها كثيرا كى تستسلم لرغباته . لكن ذلك حدث منذ زمن طويل .. طويل جدا !..

وما ان بلغت ذلك الحد من تفكيرها حتى تجهم وجههـا ، فتوقفت عن الكلام لحظة ، وعاد برنار يقول : « وما أمره .. زوجك ؟.. أهو أمريكى ؟ »

ـ أجل .

ـ هل هــو لطيف ، أمين ، هادىء الطبع ، متــدفق

العاطفة ؟

ـ كنت أعتقد ذلك .

ـ اذن فهل ترينه شريرا ، مختل الاحساس ، له نزوات ، قاسيا ، متوحشا ؟

ـ ولا هذا أيضا .

فانفجر « برنار » ضاحكا ، ثم قال : « ألا اسمعي ياجوزيه .. لقد صورتك ـ في ذهني ـ على هيئتين مختلفتين ، تنطبق كل منهما عليك تماما . لا يدهشني أن تكوني قد رأيت في زوجك شيئا ممتازا ، ولكن .. أرجو أن تفسري لي الامر ! »

فأجابته جوزيه : « حسنا ، انه .. » . **وفجأة أجهشت بالبكاء .. واستمرت فترة طويلة تنتحب فوق كتف «برنار» الامر الذي أربكه وأحزنه** . ومن خلال عبراتها ونشيجها ، انطلقت ترثي نفسها ، والحب الذي كان يجمع بينها وبين « ألان » . وراحت تحدثه عما كان يعنيه كل منهما بالنسبة للآخر ، وعما انتهى اليه الامر بينهما ـ أو ما أوشك أن ينتهي اليه !.. لقد جعلها لقاؤها ببرنار تدرك ما كانت تأبى الاعتراف به خلال الشهور الستة الماضية ، من أنها قد ارتكبت خطأ فادحا بزواجها من ذلك الرجل !

ومسح برنار دموعها بمنديله ، وهو يغمغم بعبارات مبهمة ، مهددا ذلك الوغد ، القذر ، الدنيء .. وأخيرا قالت جوزيه :

« انني أعتزم أن أتركه ! »

ـ وهل تحبينه ؟

– كلا .

– اذن ، كفى عن البكاء ، ولا تقولى شيئا . اشربى كأسك ، وستغدين على ما يرام . أتعلمين انك – فى الواقع – أجمل كثيرا مما كنت عليه ؟

فانطلقت ضاحكة ، وقد احتضنت يده بين راحتيها .. وتساءلت :

– متى تعود الى فرنسا ؟

– فى خلال عشرة أيام . هل تزمعين الرحيل معى ؟

– نعم . لا تدعنى أغيب عن بصرك لحظة واحدة ، خلال العشرة أيام القادمة .. أو فلتحرص على أن لا تغيب عنى الا اقل فترة ممكنة .. على الاقل !

– يجب ان اقدم برنامجا اذاعيا يتخلل الفترة بين برنامجين اعلانيين عن نوع من الاحذية . هذا كل ما انا مرتبط به . وكنت قد انتويت أن لا أشغل نفسى بشىء . يجب أن ترينى معالم نيويورك .

– بديع . تعال لنتناول شرابا هذا المساء . وسترى « ألان » ، وتستطيع أن تقول له ان هذه الحال لا يمكن أن تدوم . فلربما أصغى اليك و ..

فقفز « برنار » من مقعده صائحا : « ما زلت على ماعهدتك عليه من جنون . ان واجبك أن تقومى أنت بابلاغه ذلك ! »

– لا أستطيع !

– والآن اصغى الى . ان الطلاق ليس بالامر الخطير الشأن فى أمريكا .

واذ ذاك حاولت « جوزيه » أن تقنعه بحديثها عن «ألان» ، لكن « برنار » — بمنطقه الفرنسى — مضى يتحدث عن الحكمة ، والطبيعة البشرية ، وان عليها أن تحصل فورا على الطلاق . فقالت جوزيه فى يأس : **« لكننى كل ماله ! »** ، فبدأ « برنار » يقول : « هذا سخف ! » ، لكنه ما لبث أن توقف ، ليعاود حديثه بعد قليل قائلا : « آسف . لا بد أن فى بقية من رواسب الغيرة . سأراك الليلة . ولا تقلقى ، فستجديننى فى صفك ! »

ولو انه كان قد وجه اليها عبارته الاخيرة منذ سنوات ، لابتسمت .. أما الآن فقد بثت فيها لهجته الطمأنينة .

لم يكن هنالك شك فى أن النجاح — سواء كان يؤمن به أم لا — قد جعله أكثر اتزانا ورصانة .. ثم انها طلبت منه أن يحيطها بحمايته وان يتولى الدفاع عنها ، بينما وجدها هو جذابة فاتنة ..

وهكذا افترقا وقد أثر كل منهما فى الآخر ، تأثيرا خطيرا !

***

وقف « ألان » أمام المرآة يعقد رباط رقبته ، فبدا فى نظر نفسه — لدهشته — وسيما ، فى حلته الزرقاء . وكانت « جوزيه » قد فرغت من ارتداء ثيابها ، فلبثت تنتظره . وكانت احدى مظاهر نزوات « ألان » ميله الى أن يرقبها أثناء ارتداء ثيابها واتقان زينتها ، وأن يقف أمامها ليعوقها ، تحت ستار التظاهر بمحاولة مساعدتها !.. كما انه كان يجد

لذة – منبعثة من حبه لذاته – فى ان تراقبه زوجته أثناء ارتدائه ثيابه . **ومرة أخرى ، وقفت ((جوزيه)) ترمق – فى اعجاب – صدره البرونزى اللون ، وردفيه النحيلين ، وعنقه القوى .. وقد راحت تحدث نفسها بأنها لن يتاح لها أن تستمتع بكل هذا ، بعد الآن !..** وساءلت نفسها : ألن تستشعر الحسرة على كل ذلك الجمال ، بالاضافة الى الاشياء الاخرى التى ستفقدها ؟

– أين سنتناول عشاءنا ؟

– فى أى مكان تشائين .

– أوه ، لقد سهى على أن أخبرك بأننى قابلت أحد أصدقائى من باريس ، ويدعى ((برنار باليج)) . انه مؤلف روايات ، وسيظهر كتابه الاخير هنا . وقد دعوته للعشاء !

وسادت بينهما فترة صمت قصيرة ، تعجبت ((جوزيه)) خلالها من أن يكون لكلماتها هذا الاثر الذى ألزمه الصمت !.. فكيف اذا ما عرف انها اعتزمت أن تهجره خلال عشرة أيام ؟ **لكنها ما أن تأملت وجهه ، حتى بدا لها الامر مستحيلا .. تماما كما بدا لها – منذ ساعتين فقط – ان لا مفر من أن تهجره !**

– ولماذا لم تحدثينى عنه من قبل ؟

– لقد نسيت الامر كله !

– أهو أحد عشاقك القدامى ؟

– كلا .

– ألم يحدث بينكما شىء ؟ ماذا دهاه ؟.. أتزينه مسلوب

البصر ، أم ماذا ؟

.. وبصعوبة تمكنت من أن تكبح جمـــاح نفسها . ولم تقل له - بلهجة قاطعة - انها ستحصل على الطلاق ، فقد خطر لها انه لا يجوز للمرء أن يفارق امرؤا آخر ، على حقد وضغينة ، وانها - بما اعتزمت - كانت مقدمة على ايلامه بما فيه الكفاية !

وأجابته : « كلا ، انه ليس مسـلوب البصر .. بل انه فى منتهى اللطف .. وأنا واثقة من أنك ستعجب به ! »

ووقف « ألان » ثابتا ، وقد أمسك بين أصـابعه رباط رقبته المعقود فى عجلة . ثم رفع عينيه ، باحثا عن عينيها فى المرآة . وادهشته رقة صوته وهو يقـول : « عفوك .. من المحزن حقا ان تجعلنى الغيرة ابدو سخيفا ، ولكنها تنقلب الى جريمة لا تغتفر اذا ما جعلتنى فظا ، سيىء الادب ! »

واذذاك قالت جوزيه ، فى سرهـــا : « لا تكن انسانا ، ولا تبدأ فى التغير ، ولا تجردنى من المعاذير التى أتوسل بهـــا لهجرانك .. لاتفعل ذلك بى !» .. كان من المحتمل - اذذاك - أن تعوزها الشجاعة الكافية كى تبتعد عنه ، فى حين لم يكن لها بد من أن تفعل ذلك .. لا مندوحة من الامر !.. والآن ، وقداستقر عزمها ، وجدت فى الحياة بعيدا عنه طعما جديدا ..

- الحق انه كانت لى معه مغامرة ، لم تتجاوز ثلاثة أيام !

- آه ، انه الكاتب الريفى ، أليس كذلك؟ لقدنسيت اسمه .

- برنار باليج .

- لقد أخبرتنى بأمره ذات مساء . ذكرت لى انك ذهبت

لزيارته ، كى تقولى له ان زوجته كانت فى حاجة اليـه ، ثم مكثت فى فندقه .. أهو ذلك الشخص ؟

ـ أجل . انه ذلك الشخص .

وفجأة تمثلت « جوزيه » ذلك الميدان المعتم فى (بواتييه) ، والاوراق القديمة الرثة التى تزين جدران الغرفة . فسرت الى أنفها ـ مرة أخرى ـ رائحة الريف العذبة . وابتسمت اذ ترقبت أن يعود كل ذلك اليها : تلال (ايل دى فرانس) الجميلة ، والحدائق الصغيرة المنسقة ، والمنـازل القديمة ، ونسمات شوارع باريس ، وشواطىء البحر الابيض الذهبية .

ـ لست أذكر اننى قلت لك ذلك .

ـ لقد أخبرتنى به .. وبغيره من الامور . والاشـيـاء الوحيدة التى لم تحدثينى عنها هى الاشـيـاء التى غابت ـ فعلا ـ عن ذاكرتك .لقد استدرجتك كى تبوحى لى بكل شىء !

وعندما استدار اليها ، بدا كأن سنوات طويلة قد انقضت منذ رأته يرتدى حلة كامـلة .. وكأنمـا كان ذلك الرجل الواقف أمامها ، فى حلة زرقاء ، وتلك العينين القاسيتين ـ فى وجه طفل ـ كلها غريبة عنها ! .. وهتف صوت فى داخلهـا هامسا : « الآن ! » ، لكنها لم تتحرك قيد أنملة . وما لبثت أن قالت : « لا تهتـم .. فليس فى وسـع أى انسان أن يستدرج احدا كى يقول شيئا لا يرغب فى الافضـاء به . وارجوك .. لا تكن فظا مع « برنار » ، فان بوسعك أن تكون لطيفا ، اذا حاولت ذلك » .

— ان أصدقاءك أصدقائى !

ولم يستطع واحد منهما أن يرفع بصره عن الآخر .. وما لبثت هى أن انفجرت تضحك ، قائلة : « لكننا عدوان — فهذا ما صرنا اليه — يعادى كل منا الآخر ! » .. فقال « ألان » بصوت مهذب : « **أجل ، لكنى أحبك .. فلنمض الى غرفة المكتب ، فى انتظار حضور صديقك ! »**

وعندما أمسك بذراعها ، وجدت نفسها — بالرغم منها — تستند اليه ! .. ترى منذ متى كانت تستند الى ذراعه ؟.. منذ سنة .. سنتين ؟.. انها لم تعد تذكر . وفجأة استولى عليها خوف عظيم من أن يفلت ذراعها ، فلا تعرف — بعد ذلك — أين تضع يدها !.. وخطر لها خاطر من الامان ، والطمأنينة .. يا لسخرية القدر ، لقد كان ذلك الرجل المجنون ملاذها ، ومبعث الطمأنينة فى فؤادها !

***

وصل « برنار » فى موعده تماما ، فتناولوا (الكوكتيل) ، وتحدثوا — فى أدب — عن نيويورك . وكانت « جوزيه » تتوقع أن تشهد صداما بين عالمين .. عالميها . لكنها مالبثت أن وجدت نفسها تحتسى (المارتينى) ، مع رجلين فى نفس البنية تقريبا ، وعلى درجة متساوية من الادب والظرف .. رجلين كانا — أو ما زالا — يحملان لها عاطفة فياضة بالحب والشغف !

وكان « ألان » يبتسم ، الا أن التعبير الذى كان يرتسم على وجه «برنار» بمجرد وصوله ، والذي كان ينبيء عن أدب

ومجاملة ، سرعان ما تبدد ، ليحل مكانه تعبير ينم عن الملل والسأم ! **وكانت جوزيه تحاول ، جاهدة ، أن تقصى عن ذهنها ان « الان » كان يبدو على درجة غير مالوفة من الاناقة ..** وفى الوقت ذاته ، كانت تحس من ذلك بفخر وزهو غريبين.. حتى انها لم تستطع أن تركز بصرها على خلاط الكوكتيل !

وقالت : « أندخل لنتناول العشاء ؟ » .. لكن « ألان » أجاب فى لطف : «بل فلنتناول قبل ذلك كأسا أخيرة». ونظر الى « برنار » ، الذى رفض الفكرة ، ثم استطرد : « لكننى أصر.. أصر بالحاح ! » .. وفجأة ، ساد المكان جو من التوتر . وما لبث « برنار » أن نهض واقفا .

ـ كلا . أشكرك . لكنى أفضل أن نأكل .

ـ ليس قبل أن تشرب معى نخبا . لست تملك أن ترفض!

واذذاك ، قالت جوزيه : « ما دام برنار لا يرغب فى .. » غير أن « ألان » قاطعها ، موجها حديثه الى برنار : « ما رأيك يا برنار ؟ »

واذذاك ، قالت جوزيه : « اذن لنشرب نخب هذا الاجتماع الممتع ! » .. ثم انفجرت ضاحكة .

***

وعاد ثلاثتهم من حى (هارلم) عند الفجر . وكانت ناطحات السحاب تشرئب متعالية بقممها على الضباب المتصاعد من متنزه (سنترال بارك) .. وبدت أوراق الاشجار ، الصفراء اللون ، وكأنها قد وجدت فى الهواء البارد مصدرا جديدا للقوة . فقال برنار فى صوت خافت : « يا لها

من مدينة جميلة ! » . فأطرقت جوزيه برأسها ، وقد جلست محصورة بينهما ، كما كانت طيلة السهرة ..

وكان الرجلان قد اقتسماها فيما بينهما ، فتبادلا الرقص معها ، الواحد تلو الآخر . ولأول مرة لم يفرط « ألان » فى الشراب ، ولم يطرق موضوعات شاذة . أما برنار فقد بدا أقل منه توترا ، غير انها لم تستطع أن تذكر انه قد وجه حديثه اليه — ولا اليها — مباشرة !

وأثناء عودتهم من السهرة فى احدى سيارات الاجرة ، التفت « ألان » الى برنار بحركة سريعة جعلت هذا الاخير يجفل فزعا . ثم استطرد : « يا عزيزى برنار . لننس المرأة الشابة التى تجلس بيننا لبرهة . سأنسى أنا انك فرنسى ، تميل للمنطق ، وستنسى انت اننى أنتمى الى الطبقة المحظوظة ! »

فهز برنار كتفيه . وقالت جوزيه لنفسها : « عجبا لبرنار الذى يعلم اننى سوف أهجر زوجى ، وانى سأرحل معه هو حين يعود الى الوطن ، ثم يكون هو الذى يشعر بالضيق !» .. وعاد « ألان » يقول : « اما وقد نسينا كل شىء ، فبوسعنا أن نتحدث قليلا ! » . ثم صاح فى السائق : « قف بنا أمام أول حانة تصادفك ! » .. لكن جوزيه اعترضت قائلة : «اننى أشعر بالنعاس »

— بوسعك أن تنامى فيما بعد . اما الآن ، فينبغى أن أتحدث مع صديقى برنار ، الذى أوتى فكرة اللاتينيين عن الحب ، والذى يستطيع أن يلقى ضوءا على علاقتنا . ثم اننى

احس بالظمأ ..

وبعد قليل ، وجدوا أنفسهم جالسين فى حانة صغيرة ، مهجورة ، من حانات (برودواى) ، تدعى « بوكاج » .. وطلب « ألان » ثلاث كؤوس من (البراندى) ، وهدد بأنه لن يتورع عن احتسائها جميعا ، لو أن أحدا منهما طلب شرابا آخر .. وبعد قليل ، التفت الى برنار قائلا : « ها قد نسينا جوزيه تماما . لنفترض اننى لا أعرفك .. واننى مجرد سكير صادفته فى احدى الحانات ، وقد صدع راسك بسرد قصة حياته .. فلأطلق عليك اسم « جان » ، فهو اسم فرنسى قح ! »

ومع أن برنار كان يوشك أن يستسلم للنعاس ، من فرط الاعياء ، لكنه أجابه بقوله : « فليكن . نادنى باسم جان ! »

ـ ما هى آراؤك فى الحب ، يا عزيزى جان ؟

ـ ليست لى فيه أية آراء .. على الاطلاق !

ـ هذا غير صحيح يا جان . لقد قرأت كتبك ، أو على الاقل مجلدا منها .. انك تملك ثروة من الآراء عن الحب . **حسنا ، اننى عاشق ، وأحب امرأة هى زوجتى .. أحبها بوجد « سادى » فتاك .. فماذا ينبغى أن أفعل ، وهى تفكر فى هجرى ؟**

فنظرت جوزيه الى زوجها ، ثم انتقلت بنظراتها الى برنار ، الذى كان ـ فى تلك اللحظة ـ يجيبه قائلا : « مادامت تزمع ان تهجرك ، وما دمت تعلم سبب ذلك ، فلست أرى ثمة ما يمكننى أن أقوله ! »

ـ دعنى أشرح لك ما أعنيه .. اننى اعتقد أن الحب شىء يسعى الناس اليه ، وهم يبحثون عنه أزواجا . **ويحدث ـ فى معظم الاحيان ـ أن فردا واحدا من كل زوجين هو الذى يصل اليه . وفى حالتنا ، كنت أنا ذلك الشخص ، فامتلأ فؤاد زوجتى غبطة وطربا !..** فهرعت نحوى مثل ظبية ، كى تلتهم من يدى الفاكهة اللذيذة الخالدة . وكانت هى الظبية الوحيدة التى ارتحت الى اطعامها بيدى !

وافرغ الكأس فى جوفه فى جرعة واحدة ، ثم استطرد : « يجب ان تغفر لى ـ يا عزيزى جان ـ مثل هذا التشبيه ، ولكن الامريكيين ذوو ميول شاعرية . **أن زوجتى ظلت ـ على أية حال ـ تأكل ، الى أن أتخمت .. واذا نفسها تصبو الآن الى أحد أمرين : اما ان تغير صنف الفاكهة ، أو ترفض أن يطعمها أحد بالقوة !** لكننى ما زلت احتفظ بقدر من تلك الفاكهة ، وهى تثقل يدى ، وأرغب فى تقديمها اليها .. فبماذا تنصحنى ؟

ـ ربما كان عليك أن تتصور انها بدورها تحمل فاكهة فى يدها ، وانها .. ان تشبيهاتك تثير أعصابى . على أية حال .. أقول ، بدلا من أن تصر دائما على أن تكون أنت الذى يعطى ، قد يكون من الاجدر بك أن تؤمن أن زوجتك ـ هى الاخرى ـ تملك شيئا لتقدمه .. كان يجدر بك أن تحاول فهمها ، فكيف لى أن أعلم .. ؟

ـ انك متزوج .. ألست كذلك ياعزيزى جان ؟

فأجاب برنار ، وقد بهت : « نعم »

ـ وزوجتك تحبك وتطعمك .. وأنت لا تهجرها ، رغم انها تثير فيك الملل !؟

ـ يبدو انك على علم ببواطن الامور !

ـ وانت لا تفكر فى الانفصال عنها ، بسبب ما تدعوه بالشفقة ، أليس كذلك ؟

ـ ليس هذا من شأنك . ان حانتك هى موضوع نقاشنا !

ـ اننى أتحدث عن الحب ، وهذا يدعو الى احتفالنا . تعال أيها الساقى !

فقالت جوزيه فى صوت خافت : « كفاك شرابا ! »

وكانت قد أحست بالسقم .. كانت تتغذى على حب «الان» حقا .. وكانت تجد فيه دافعا للحياة ، أو وسيلة لقتل الوقت .. **ولقد كان ما قاله صحيحا ، فهى ـ حسب تعبيره ـ قد شبعت ، فلم تعد ترغب فى أن يطعمها بالقوة !**

واستطرد ألان : « اذن ، فأنت تضيق بزوجتك ياعزيزى جان .. منذ زمن بعيد كنت تعشق جوزيه ـ أو على الاقل توهمت ذلك ـ فاستسلمت لك ، وعزفتما معا لحنا عاطفيا ، حزينا ، مشتركا .. لأن قيثارتيكما كانتا مشدودتين على ذات الدرجة ، أعنى .. الدرجة الخافتة ! »

فأجاب برنار : « ليكن الامر كذلك ، اذا شئت ! » . ثم نظر الى جوزيه . لكن أحدا منهما لم يبتسم .. كانت جوزيه ـ فى تلك اللحظة ـ على استعداد لأن تهب أى شىء ، فى سبيل أن تكون قد أحبت برنار فى هيام ، حتى تجد فى هذا الهيام بعض ما يدفع عنها غمزات « ألان » ولمزاته !.. ولاح ان

برنار فهم ما كانت تفكر فيه ، فصعد الدم الى وجنتيه . وما لبث أن قال لألان : « وما خطبك أنت يا الان ؟.. ماذا فعلت ؟.. لقد أحببت امرأة فسممت حياتها ! »

ـ حسنا .. هذه ناحية ، على أية حال . هل تظن أن أحدا آخر يستطيع أن يملأ حياتها ؟

والتفتا اليها ، فاذا بها تنهض واقفة فى بطء ، وهى تقول : « ان مناقشتكما تبهرنى . استمرا فيها ما دمتما قد نسيتما وجودى تماما . أما أنا ، فسآوى الى مخدعى ».

وتجاوزت عتبة الحانة ، قبل أن يتمكن أحد منهما من الاستواء على قدميه . واستدعت ـ على الفور ـ سيارة أجرة ، ثم أملت على السائق عنوان فندق كانت قد سمعت عنه يوما . وقال لها السائق بلهجة العليم ببواطن الامور : « ان الوقت متأخر .. لقد فاتت فرصة النوم » ، فوافقته قائلة : « نعم . متأخر جدا ! »

وفجأة ، فطنت الى نفسها ـ وهى بعد فى السابعة والعشرين من عمرها ـ تهرب فى سيارة أجرة ، تاركة خلفها زوجا يحبها ، متجولة فى شوارع نيويورك ، عند الفجر !

وبعد أن طلبت حجز مقعد فى الطائرة المسافرة الى باريس ، أوصت أحد المتاجر بأن يرسل لها ـ بعد الظهر ـ فرشاة أسنان وأنبوبة معجون ، الى فندقها .. عندئذ فقط ، رقدت منكمشة فى الفراش ، وقد تسلل بصيص من ضوء الصباح الى تلك الغرفة الغريبة عنها .. وراح جسدها يرتجف من البرد ، والاجهاد ، والوحشة !.. **لقد ألفت النوم بجوار**

« ألان » ، فرأت حياتها – أثناء نصف الساعة التى قضتها مستغرقة فى النــوم – وكأن كارثة مروعة كانت تفتح فاها لتبتلعها !!

***

اقتلعت ريح عاصفة أغصان الاشجار ، ورفعتها فى الفضاء برهة ، ثم ألقت بها فوق الاعشاب ، وراحت تدفعها كالكرة ، حتى اسلمتها – أخيرا – الى الطين ، فاستقرت فوقه .. ووقفت « جوزيه » أمام الباب ، تتأمل المرج ، والحقــول المصفرة اللون ، وأشجار الكستناء تتلوى وتتجرد من ثمارها وفروعها .. وفجأة ، انفصل غصن كبير عن الجذع ، محدثا دويا ، ولاح كأنه قفز فى الهـــواء ، وقد انثنت أوراقه الى الخلف بتأثير الريح ، ثم هوى مستقرا عند قدمى جوزيه . فهتفت : « وجدتها ! » .. ثم التقطته !

وكان الجو شديد البرودة ، فدخلت المنزل ، ثم صعدت الى غرفتها ، التى كانت أرضيتها مرصوفة بالبلاط . ولم يكن بها من الاثاث سوى مائدة مغطاة بصحيفة قديمة ممزقة، وصوان ضخم . فوضعت الغصن فوق الفراش ، وجعلت عنقه فوق الوسادة ، ثم وقفت تتأمل باعجاب – لبـرهة وجيزة – الغصن الممزق الذاوى .. لكم بدا لها أشـــبه بالطائر الحزين ، أو بباقة من زهور الجنازات .. كان صورة صادقة للكآبة والدمار !

وكانت « جوزيه » قد قضت الاسبوعين الاخيرين فى التسكع فى انحـــاء ريف (نورمانديا) ، الذي كانت رياح

الخريف الضارى قد عاثت فيه فسادا .. فما أن وصلت الى فرنسا ، حتى استأجرت ذلك المنزل القديم الموحش من أحد السماسرة ، الذى اغتبط بالصفقة .. على انهـا ما كانت لتحفـل بما اذا كان البيت فى باريس أو (تورين) ، أو أى اقليم آخر . كما لم يعلم أحد بنبأ وصولها ، فقد كانت ترغب فى ان تخلو بنفسها بعض الوقت ، « كى تستعيد شخصيتها القديمة » .. وكانت ثمة سخرية فى الجملة الاخيرة ، فما كان هنالك ما يمكن استعادته ، لا سيما شخصيتها ! غـير انها كانت قد قرأت هذه العبارة مرارا فى عدد كبير من الروايات !

ولم يكن فى افقها الجديد سوى الـريح التى كانت تقتلع كل شىء ثم تطوح به بعيدا ، واللذة التى كانت تستشعرها فى الجلوس بالقرب من النار فى المساء .. وكان عبير العزلة والوحدة يطفى على كل رائحة فى الجو . تلك كانت حيـاة الريف !.. ولكن ، لابد انها كانت بعد صغيرة السـن ، أو مفرقة فى الخيال ، حتى انها كانت - وهى فى الطـائرة التى اقلتها الى فرنسا - تتطلع بشوق الى المنزل الريفى ، الذى كانت ترجو ان تشيد فيه من جديد صرح حياتها المتهدمة ، وان تعيد السلام والسكينة الى نفسها .. ان شيئا لم يتهدم فى حياتها ، ولا هى خسرت شـيئا ، حتى الآن ، فقد كانت مضطرة الى ان تعترف بسلامة عقلها ومتانة بنيتها ، برغم ما مر بها من أحداث مؤسفة ، وذكريات مؤسية .

وكان بوسعها ان تعيش فى هذا البيت ما طاب لها البقاء ، **على شريطة ان توطن نفسها على تحمل الملل . كما كان فى**

استطاعتها ان تعود الى باريس ، لتبدأ حياتها من جديد .. لتبدأ فى البحث عن « الفاكهة » التى تحدث عنها « الان » ، أو عن مستوى معين للراحة المادية .. أو أن تسعى لتجد لنفسها عملا ، أو للتسرية والترفيه عن نفسها . كذلك كان بوسعها – أيضا – ان تنطلق سائرة فى مسرى الرياح ، أو تستمع الى اسطوانة موسيقية ، أو تقرأ كتابا .. كانت تشعر بالحرية .. ذلك الاحساس الذى لم يكن مثيرا ولا كريها .. كان مجرد احساس منها بالتفاؤل لا يخمد له أوار ، وهو ما كان محور طبيعتها الدائم !

ولم تذكر « جوزيه » انها قد شعرت يوما باليأس .. ولكنها كانت تشعر بمجرد ضيق كئيب بلغ – أحيانا – حد الغباء المتبلد .. وعاد الى ذاكرتها بكاؤها حزنا على فقدان قطة سيامية ، ماتت بحمى التيفوس ، منذ ما يقرب من أربع سنوات .. وذكرت عنف حزنها اذذاك .. الاحساس الذى جعل أحشاءها تتقلص فى اختلاج فظيع ، ما لبث ان انفثأ على شكل دموع منهمرة .. وكيف انها لم تسمح لنفسها ان تفكر فى شىء آخر غير طريقة لعب القطة ، ونعاسها امام النار ، واطمئنانها اليها .. أجل ، كان هذا أسوأ ما فى الامر .. ان تفقد كائنا كان يطمئن اليك اطمئنانا تاما ، حتى ليضع حياته بين يديك !.. لابد ان فقدان طفل أمر يجل على الاحتمال ، ولكن ربما كان فقدان زوج غيور .. أسوأ منه !

« الان » !.. ترى ماذا كان « الان » يفعل ؟.. أكان يتجول فى شوارع نيويورك ، متنقلا من حانة الى أخرى ؟..

أم عاد للتردد على طبيبه النفسانى – يوميا – واضعا ذراعه فى ذراع أمه ؟.. أم – وهذا هو أقرب الامور الى المعقول – كان يضطجع مع حسناء أمريكية ؟.. لكن شيئا من هذه الاحتمالات لم يشف غليلها ، فقد كانت تود ان تعرف الحقيقة بحذافيرها !

***

ولم تكن تجاذب أحدا أطراف الحديث ، اللهم الا زوجة البستانى ، التى وفدت من اقليم (بيكاردى) ، والتى كانت تقوم بشؤون المنزل . واذ كانت جوزيه تخشى الظلام ، فقد أصرت على ان تبيت هذه المرأة معها .

وأخذت تذهب – من وقت لآخر – الى القرية ، لا لشىء الا لمجرد التحدث بالفرنسية ، ولابتياع بعض الصحف اليومية ، التى كانت تتصفحها دون ان تقرأ منها شيئا !

وكانت عودةجوزيهالى باريس – بعد غياب دام سنتين – حادثا عسير التصديق .. فقضت ثلاثة أيام متجولة فى الشوارع ، متنقلة من فندق الى فندق ، وقد بهرها ان وجدت كل شىء كما تركته ، لم يتغير منه شىء .. وكان مسكنها القديم كعهدها به ، لا يزال يوحى بالخواء والفراغ . حتى الناس كانوا كما ألفتهم من قبل ..

ولم تقابل أحدا من معارفها ، كما انها لم تحاول الاتصال بهم .. وفجأة استولى عليها حنين طاغ الى الريف ، فأسرعت باستئجار سيارة أقلتها الى هناك .. لا ريب ان

والديها كانا يظنانها بعد فى (فلوريدا) ، ولعل « برنار » و « ألان » كانا يبحثان عنها فى نيويورك ، بينما كانت تقيم بمفردها فى ذلك المنزل ، غارقة فى روايات «كونان دويل» !..

كل شىء كان باطلا .. ما عدا الريح .. الريح فقط كانت هى الجادة فى غضبها ، وهى الوحيدة التى بدا انها كانت تملك هدفا واضحا ، وطريقا محددا تسعى اليه !

وعندما هدأت الريح – فيما بعد – جمع البستانى « ضحاياها » من المرج ، ثم ألقاها فى النار !.. وسرى العبير العذب – المنبعث من احتراق الاوراق – خلال النافذة ، فانتزع جوزيه من مغامرات « شرلوك هولمز » ، وطوح بها مرة أخرى بين براثن الحنين والوحشة ، اللذين كان يوحى بهما عبير الارض فى الليل ، ولمسة الغطاء الخشن الذى تفوح منه رائحة « النفتالين » .. كما كان كل شىء يعيد الى ذهنها ذكريات شبابها .. ذلك الشباب المعطر ، الذى كان قريبا منها ، وفى نفس الوقت بعيدا عنها !

وفى تلك اللحظة ، حك كلب بأظافره باب غرفتها .. كان كلب صاحب المزرعة قد شعر بميل نحوها ، فأخذ يقضى ساعات طويلة ، مستكينا برأسه على ركبتيها .. وفتحت له الباب .. وفى تلك اللحظة ، لمحت – من احدى نوافذ الممر – ساعى البريد . وكانت هذه أول مرة يحضر اليها فيها رسالة .. بل انها كانت برقية ، جاء فيها : « انتظر حضورك الى باريس بأسرع ما يمكن .. تقبلى حبى – برنار » !

وجلست على الفراش ، وراحت تتحسس الغصن الجاف بذهن شارد ، متسائلة عما اذا كان يجدر بها ان تبتاع معطفا بنفس اللون .. ونظر الكلب اليها !

باريس

– انني اعرف كيف تفكرين .. لقد رغبت في ان تختلي بنفسك ، فحننت الى الريف . ومن ثم كان يتعين عليك ان تستأجري منزلا هناك .. وعلى طريقتك البسيطة في اداء كل أعمالك ، فانك بحثت في الدليل المبوب عن أسماء سماسرة المنازل ، واتصلت « تليفونيا » بأول اسم من الاسماء المطبوعة بالبنط الاسود ، واستفسرت عن منزل بالارياف يمكن استئجاره بالشهر .. واذ كنت ابحث عن مقرك ، فقد التجأت الى عين الطريقة . الا انك كنت قد اتصلت بثاني سمسار في القائمة . فكيف حدث ذلك ؟

واجابت جوزيه في اكتئاب : « كان رقم تليفون الاول مشغولا ! » .. فهز برنار كتفيه ، مغتبطا بذكائه بعض الشيء ، ثم قال : « لقد خطر لي ذلك . وعندما أخبروني ان فتاة « مجنونة » استأجرت منزلا في (نورماندي) ، خاليا من وسائل التدفئة ، في شهر اكتوبر ، ادركت انك كنت المقصودة .. بل فكرت في الذهاب لإحضارك ! »

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك ، لم أهتم .. لقد كان رحيلك مفاجئا ، ينطوي على شيء من القسوة .. ولقد غضبت الما .. « الان »

اليوم التالى فى التجول فى نيويورك ، حتى اذا ما حلت فترة ما بعد الظهر ، كنا فى حالة لا توصف .. وفكر « ألان » فى الالتجاء الى شركة (اير فرانس) ، ولكن ساعة كانت قد فاتت على موعد قيام الطائرة !

– وبعد ذلك ، ماذا فعلتما ؟

– استقللنا الطائرة التاليــة ، وقد تخليت عن الحديث الذى كنت مكلفا بالقائه بالاذاعة .. وبالكاد استطعت ان آخذ امتعتى !

– وهل « ألان » هنا ؟

ونهضت مستوية على قدميها ، ولكن برنار أجلسـها ثانية ، وهو يجيبها : « لا تجمحى !.. انه هنا منذ اسبوعين . ولست فى حاجة لأن أقول انه يقيم بفندق (ريتز) . وقد أطلق « شرلوك هولمز » و « ليمى كوشن » فى أثرك ! »

فقالت تردد قوله كالببغاء : « شرلوك هولمز ؟ يا للعجب !.. لقد كنت لتوى أقرأ .. »

– قد لا أكون فى مهارة وعبقرية « شرلوك هولمز » ، ولكننى خبير بطبـاعك ، فعليك ان تفعلى شيئا .. اما ان تحصلى على الطلاق ، أو ان تهربى الى البرازيل .. ولـكن ، لا تتركينى مع « ألان » !.. لقد أصـبح يغمرنى بما يقرب من الود والصداقة . لكنه لن يلبث ان يعاود كراهيته اياى ، فى كل مرة تتطلعين فيها الى وجهى . لقد تعبت !

والقى بنفسه مضطجعا على الاريكة . وكانا فى فنـدق صغير على الضفة اليسرى للنهر ، حيث عاشت جوزيه فترة

من الزمن .. يوما ما . وهـزته فى عنف قائلة : « ما أراك ستشرع فى الشكوى ، أليس كذلك ؟ اسبوعان ؟.. يا الهى ، لقد عشت معه ثمانية عشر شهرا ! »

ـ نعم ، ولكن كان ثمة ما يعوضك منه .. وهو ما ليس بوسعى ان أشاركك اياه !!

وترددت قليلا ، ثم انفجـرت ضاحكة .. وما لبثت ان انتقلت عدوى الضحك اليه . وظلا لدقائق قليلة ملتصقين على الاريكة ، يئنان ويشهقان من حـدة الضحك ، وقد ترقرقت الدموع فى أعينهمـا . ثم قال برنار ، وقد كاد يختنق : « انك امرأة غريبة ، غريبةالى أقصى حد . أحسبك ستلقين على مسئولية زواجك .. أنا ، الذى كنت أعشقك الى حد الوله والجنون !.. **ولعلى لا أزال أحبك ، وانا الذى كنت ألازم زوجك وأواسيه خلال الاسبوعين الماضيين .. انه أمر عسير التصديق ! »**

فأجابته جوزيه : « أرجـو ان تصمت .. ينبغى ان أكف عن الضحك ، وان أعيد التفكير فى مشكلتى .. هذا ما كنت أحاول ان افعله فى الريف .. ليتك رأيتنى . لقـد توقف تفكيرى ، ولم أفعل شيئا ، بل رحت أرتجف .. ثم ان هنالك كلب جميل ، كان لا يفتأ يتواثب على .. »

ودفعتهما اشـارتها الى الكلب ، الى نوبة جديدة من الضحك ، انتهت بأن واجه كل منهما الآخر ، وقد اشـتد احمرار وجهيهما . وكان برنار يمسك فى يده منديلا ، تناوبا استعماله مثل الاطفال .

وسألته جوزيه : « ماذا عساى أفعل ؟ » .. وكان برنار — فى تلك اللحظة — ملتصقا بها ، وقلبها النابض قد غـدا شيئا ثمينا ، مثقلا ، ليس بوسعه أن يكبح جماحه .

— اذا كنت ترغبين فى الطلاق ، فلن يكلفك الامر أكثر من أن تسعى الى محام . فلن يستطيع زوجك أن يقتلك !

— لست أفكر فى نفسى ، بل أفكر فيه .. لست أدرى !

— حسنا ، أنا أعلم الآن انه شخص مضحك . عندما لا أكون معه ، واتصــــوره متجولا فى باريس بمفرده . تسرى القشعريرة فى جسدى . ويبدو أنه قد أثار فى نفسى احساسا « بالامومة » نحوه ، لم ألمسه فى نفسى قبل ان التقى به !

— هل يبعث فيك — انت الآخر — هذا الشعور ؟

فأجاب برنار فى قسوة : « لكن هذا لا يبـدو لى اساسا متينا للزواج .. على ان هذا شأنك . والآن ، لماذا لا تحضرين حفلة (الكوكتيل) التى يقيمها « سيفران » الليـلة ؟ . لن يكـون « ألان » هنـاك . والآن ، يجب ان أنصرف .. ان « ألان » يقيم بفندق (ريتز) — اذا شئت الاتصـــال به — وحوله خمس عشرة عانس انجليزية ، يكدن يلتهمنه التهاما !

وما ان انصرف برنار حتى استندت جوزيه بجسدها الى الباب ، وقد هدها القلق والتردد .. كان افـراغ حقائبها يستغرق منها ساعتين على الاقل ، وهذا كفيل بأن يلهيها عن التفكير ، حتى يحين موعد حفلة (الكوكتيل) . وكانت واثقة من انها ستلقى هناك من يسدى اليها النصح .. ستجد شخصا أوتى مبادىء وآراء محددة واضحة . وحدثت نفســـها :

« الحق أننى ضعيفة الى حد لا يصدق .. أنا التى يتعين عليها أن تقرر مصير حياتها ! »

لكن حياتها كانت أشبه بصخب أجوف ، مضطرب .

وما ان استعادت فى ذهنها ضحكة برنار — التى لم يتمكن من كظمها — حتى ابتسمت لنفسها فى المرآة ، وتذكرت الجملة البسيطة التى ألقاها عفو الخاطر : **« كنت أعشقك الى حد الوله والجنون .. ولعلى لا أزال أحبك ! »** .. فتناولت مشجبا ، وعلقت عليه أحد أثوابها بعناية .. وكان ثوبا جميلا ، يناسب قوامها تماما .. **أجل ، كان الناس مغرمين بها ، فى الوقت الذى لم تساهم هى فيه بشىء مقابل الحب الذى أغدقوه عليها .. لقد كانت تتناول الطعام من ايدى الآخرين ، فكرهت نفسها !**

***

وكانت حفلات (الكوكتيل) التى اعتاد « **سيفران** » تقديمها من أنجح الحفلات . وكانت تكتظ عادة بعدد غير قليل من علية القوم ، وبعض الظرفاء ، وواحد أو أثنين من الممثلين المتطفلين ، وعدد من اهل الادب والفن ، ونسبة لا بأس بها من ذوى الشذوذ الجنسى .. وكانوا جميعا من اصدقاء جوزيه !

وامتلأ فؤاد جوزيه غبطة ، اذ وجدت نفسها — مرة أخرى — فى ذلك العالم الصغير ، الفاسد ، المتكلف ، الذى كان فى نفس الوقت ، أكثر العوالم الصغيرة — فى أية عاصمة من عواصم العالم — حيوية ، وحرية ، ومرحا ..

واستقبلها بعض معارفها - بعد عامين من الفراق - بصيحات اغتباط لم يبالغوا فيها كثيرا ، وكأنهم قد شاهدوها منذ يومين فقط .. وألقوا بسواعدهم حولها وقبلوها ، متبعين فى ذلك العادة الفرنسية التى نشأت منذ عهد التحرير، وفقا لقول سيفران .

وكان « سيفران » فى الخمسين من عمره . وقد قرأ عددا وفيرا من كتب « هكسلى » ، واندفع فى حياة العربدة ، مطلقا لنفسه العنان .. وكان مسكنه مكتظا بصور كثيرة لنساء رائعات ، لم يكن أحد يعرف عنهن شيئا ، اذ أثبت انه كان كتوما بشأنهن الى حد غير عادى !.. وكان لا يفتأ يضحك بصوت مرتفع أكثر مما ينبغى ، كى يظهر للملأ الحيوية التى كان يتمتع بها .. كما انه لم يكن ينام قبل الفجر . **غير انه كان يتصف بعطف صادق ، وكرم زائد ، وفيض لا ينضب من « الويسكى » ، مما اكسبه كثيرا من الاصدقاء الحميمين، كانت جوزيه منهم !**

وبعد أن طبع « سيفران » على شفتيها ست قبلات ، وعرض عليها الزواج - حسب الطقوس المعترف بها - جذبها من يدها جانبا ، وأجلسها تحت مصباح ، وراح يتأملها فى تدقيق ، قائلا : « دعينى أنظر اليك ! » . فألقت جوزيه رأسها الى الخلف فى استسلام . وكانت أكثر ادعاءات سيفران مضايقة لسامعيه ، ادعاؤه بأنه كان قادرا على ان يصل الى كل أسرار المرء ، بمجرد النظر الى وجهه !

- لقد مررت بكثير من المتاعب ..

ـ كلا ، كلا ياسيفران . كل شىء على مايرام .

ـ أراك لا تزالين كتومة . انك تختفين لمدة عامين ، ثم تعودين ثانية ، متألقة ، جميلة ، دون كلمة شرح أو تفسير . اين زوجك ؟

فأجابت جوزيه : « فى فندق (ريتز) » .. ثم انفجرت ضاحكة ، فقطب سيفران جبينه وقال : « اذن ، فهو من طراز نزلاء فندق ريتز ؟ »

ـ لابد أن عشرة من الحاضرين هنا الليلة ، يقيمون بفندق ريتز .

ـ لكن الامر مختلف بالنسبة لهم .. فهم ليسوا متزوجين من أحب صديقاتى !

فرفعت جوزيه رأسها ، وقد عشى الضوء بصرها .

ـ ان احب صديقاتك تحس بالظمأ ياسيفران !

ـ سأحضر حالا . لا تتحركى من مكانك . وليس لك ان تختلطى بأولئك الثقلاء . انك عائدة لتوك بعد غيبة عامين فى أمريكا ، فأصبحت أشبه بالمتوحشات ، وهؤلاء لا يعـــرفون كيف يتحدثون مع المتوحشين !

وقبل ان يختفى عن انظارها ، أطلق ضحكته المدوية . وراحت جوزيه تغمر بنظراتها ـ فى شغف ـ أولئك القـــوم الثقلاء (!!) ، الذين كانوا يناقشـــون الامور فى حماس ، ويطلقون الضحكات .. ويتحولون من مستمع الى آخر بنفس السرعة التى كانوا يغيرون بها موضـــوع حديثهم !.. وكانوا يتحدثون باللغة الفرنســـية ، فأحست جوزيه بأنها كانت

— حقا — من المتوحشين : **عامان فى جزيرة قاصية منعزلة ، مع ((ألان)) ، مستمعة الى آراء ((براندون كينيل)) وزوجته الجادة ، الرصينة ، الخالية من المرح .. عامان دون ان ترى وجها آخر !.. لكم بدت لها باريس فاتنة ، باهرة الجمال !**

وبعد قليل ، عاد سيفران اليها . وما ان جلس بجوارها حتى قال : ((هل ترين المرأة التى هناك ؟.. هل تعرفينها ؟))

— انتظر دقيقة . كلا ، لست أعرف .. من هى ؟

— اليزابيث ، الا تذكرين ؟.. لقد كانت تعمل فى احدى الصحف ، وكنت مجنونا بحبها !

— يا الهى ! ولكن .. كم يبلغ عمرها ؟

— انها فى الثلاثين ، لكنها تبدو فى الخمسين ، أليست كذلك ؟.. انها أقسى حالات النكسات التى شهدتها منذ رحيلك . ففى خلال عامين ، جنت المسكينة هوى برسام نصف مخبول ، ضحت بكل شىء فى سبيله ، حتى لقد استقالت من عملها ، ثم ادمنت على المسكرات !.. وزاد الطين بلة ، انه قطع علاقته بها الآن !

وفى تلك اللحظة . ألقت ((اليزابيث)) بنظراتها نحوهم — وكان أحدهم قد لكزها — مقدقة على سيفران ابتسامة باهتة ، وبدا وجهها — فى الحال — نحيلا ، ذابلا ، وقد ارتسم عليه تعبير كذلك الذى يكسو وجه حيوان مريض ، فسألها سيفران : ((هل تستمتعين بوجودك هنا ؟))

— هذا ما احظى به — دائما — فى حفلاتك .

ولمحت جوزيه ان تتحدث الى تلك المرأة ، التى هاجمتها

الشيخوخة فجأة ، وأن تجعلها تتحدث عن نفسها ، وأن تدرك وتفهم كل شيء عنها !.. بينما استطرد سيفران :

– لقد شرعت فى الانتحار ، المرة تلو المرة . غير انها لم تبذل من أجل ذلك الجهد الكافى . وكان حبيبها – بعد كل محاولة – يبكى ويعود اليها لمدة ثلاثة أيام !

وكانت الفرقة الموسيقية قد تأهبت لعزف موسيقى رقصة « الشارلستون » – التى عادت الى باريس ، شأنها فى عام ١٩٢٥ – فتوقفت الاحاديث ، وخفت الضجيج ، فترة من الوقت ، عاد بعدها الى سيرته الاولى .. وكان الدخان يملأ الغرفة . واضطر الحاضرون الى الصياح ملء حناجرهم ، كى تعلو أصواتهم على الموسيقى . وزاد الصخب والضوضاء حتى صارت تصم الآذان .. وانتثرت الكؤوس الفارغة فوق الموائد .. فتمنت جوزيه ان يظهر برنار ، كي يزودها بمعلومات أخرى عن « ألان » !

وصاح سيفران فى الحاضرين كي يكفوا عن الثرثرة ، وينصتوا الى اغنية مشهورة من المغنى الزنجى «روبين دوجلاس» .. ثم اطفأ أكثر الانوار ، فتعثر شخص ما ، فى الظلام ، وجلس بجوار جوزيه .. بينما أخذ المغني يلقى اغنيته فى بطء ..

وكانت جوزيه قد تجولت في حي (هارلم) مع ألان ، وألفت غناء الزنوج ، فلم تشارك الآخرين حماسهم ، وما لبثت ان اخذت تتثاءب .. ثم اضطجعت – فى مقعدها – الى الخلف ، فلمحت يد جارها اليمنى ، وكانت قد لمحت – فى البداية – حذاء أسود كان يومض فى الضوء الخافت ، ثم

ثنية ((بنطلون)) ، ثم شاهدت فوق البنطلون يد .. وكانت يد ألان !

أحست بعينيه تتأملانها .. ولم يكن عليها سوى ان تستدير برأسها قليلا ، كى تلتقى نظراتها بنظراته ، لكن شيئا فى داخلها كان قد تجمد فزعا ، واستولى عليها شعور بأنها هى التى هجرته ، وقد كانت له حقوق عليها ، ولن يلبث ان يطالبها بها ، وربما أثار شجارا فى منزل سيفران .. منزل انسان لم يلتق به من قبل !

وظلت فى مكانها لا تحير حراكا ، والى جوارها جلس ذلك «الاجنبى» متلصقا بها ، يتنفس فى هدوء .. ذلك الرجل الذى ما كان بوسعه ان يفهم جو الحفلة ، والذى كان ذلك الغناء الردىء يدفعه - مثلها تماما - الى السأم والملل .. الرجل الذى لم تره منذ شهر كامل ، والذى كان يجلس الى جوارها ، فى الظلام ، لا ينبس ببنت شفه .. بل لعله لم يجد الجرأة على مجاذبتها أطراف الحديث .. « ألان » !

وللحظة شعرت نحوه بحنين طاغ ، ورغبة عارمة ، حتى لقد رفعت يدها بسرعة الى صدرها ، وكأنها فوجئت ويدها تتسلل اليه !.. وفى الوقت ذاته ، خطر لها ان ذلك الرجل - الذى كان بمثابة غريب وسط ذلك الحشد من أصدقائها ومعارفها - كان وحده أقرب الناس اليها ، لا لأنه يجلس الى جوارها فحسب ، بل بسبب ماض لم تكن تستطيع ان تنكره ، ولا ان تسلوه ، ولا ان تسترده !.. وكان هذا كله قد راح يخنق ذلك الشعور بالمرح والانطلاق والحرية ، الذى كان

يسيطر عليها منذ عشر دقائق فقط !

وهمس ألان : « ياله من غناء ردىء ! »

والتفتت اليه ..

***

واذذاك ، التقت عيونهما ، فى نظرة محــرجة ، حائرة ، مستنكرة .. وتعرف كل منهما على الآخر ، بخليط من الود والدهشة المزوجة بالسخرية والضغينة والجزع !.. وكان كل ما شاهده أحدهما من الآخر هو التماعة عين ، وقسمات وجه مألوف تماما ، وارتعاشة فم خرساء ، منفعلة !

« اين كنت ؟ »..« لماذا حضرت الى هنا ؟ » .. « كيف استطعت ان تهجرينى ؟ » .. « ماذا تريد الآن ؟ » .. كل هذه الاسئلة تبــادرت الى ذهنيهما ، وطفت فى ضراوة على كلمات الاغنية ، التى كانت ـ لحسن الحظ ـ قد أوشكت على الانتهاء . وصفقت جوزيه مع الآخرين ، وقد لاحت لها سخافة تلك الحركة ، وهى ان يضرب المرء احد كفيه بالآخر ، بينما شخص آخر يحملق فيك .. كانت حركة سـخيفة ، لا تعنى شيئا ، اذ ان المغنى لم يــرق لها .. لم تكن تعنى شيئا ، سوى الرغبة المتعمدة فى ان تبدو مثـــل الضيوف الآخرين ، ومثل أسرتها ، وابناء وطنها ـ ولو انهم تورطوا فى ارتكاب فعل يدل على سقم الذوق ـ **وذلك كى تحرر نفسها من سلطان « ألان » ، ولتثبت له انها قد استعادت مكانتها فى حياتهم ، وان تلك الحياة ستكون حياتها منذ الآن !**

وفى تلك اللحظة اضاء سيفران الانوار ، فرأت وجه ألان فى وضوح : وجها كأنه وجه طفل ساذج ، أعزل ، لا قسوة فيه ولا عدوان .. كان وجه شاب فاضل ، تعيس !

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ جئت ابحث عن برنار ، فقد وعد ان يبحث لى عنك ..

فمضت تسأله : « من اين اشتريت رباط العنق الفظيع هذا ؟ » .. **كان قد اجتاحها شعور غامر بالسعادة .. بمجرد ان انزاح عنها ذعر المفاجأة ، فطغى على جميع افكارها الاخرى ..**

واجاب ألان وهو يرسل ضحكة رقيقة : « لقد ابتعتها بالامس ، من متجر فى شارع (ريفولى) ! » .. واسترسلا فى الحديث دون ان ينظر احدهما الى الآخر ، وكأن المغنى لم يكن قد فرغ من غنائه ، ولا أعقبه عرض فى غرفة الاستقبال لم يكونا يريانه !

ـ كانت غلطة !

ـ نعم .

قال « نعم » فى همس ، فلم تستطع ان تتأكد مما اذا كان يشير الى موضوع آخر . ومرة أخرى ، شاهدت وجوها تحوم حولها ، وأحاديث تدور من جديد . لكنها أحست بنفسها نائية عن هؤلاء الناس ، بقدر ما كانت قريبة منهم منذ ساعة مضت . ولاح لها كل شىء وكأنه أحداث فى رواية !.. واذا بها تسمع فجأة ضحكة لعوبا ثملة ، فلما

نظرت الى مصدرها ، شاهدت اليزابيث !

ـ هل يعجبك « روبين » ؟ انه يغنى غنـاء رائعا ، أليس كذلك ؟

وانحنى سيفران نحو جوزيه ، فعرفته بألان ، الذى نهض وصافح مضيفه فى حرارة . فقال سيفران : «كيف حالك ؟» .. ثم أضاف فى حرج : « هل ستمكث طويلا فى باريس ؟ »

وغمغم ألان شيئا خلال شفتيه ، فأدركت جـوزيه انه يجدر بهما ان ينصرفا بأسرع ما يستطيعا ، ولو تطور الامر الى حد نشوب شجار بينهما .. وكانت الحفلة البهيجة قد انقلبت على أى حال الى كابوس فظيع ، فنهضت ، وقبلت سيفران ، ثم انصرفت دون ان تلقى نظرة خلفها .. وتبعها « الان » فى صمت ، وفتح الباب ، ثم سـاعدها على ارتداء معطفها . فلما صارا فى الخارج ، تقدما بضع خطوات متعثرة ، قبل ان يجرؤ على الامساك بذراعها .

ـ اين تقطنين ؟

ـ بشارع (باك) . وماذا بشأنك انت ؟ أوه ، أعرف . انك تنزل فى (ريتز) !

ـ أيمكننى ان اصحبك الى فندقك ؟ .. اعنى الى الباب !

ـ بالطبع .

وهبت على الشارع ريح رقيقة . وسارا سويا وقد تعثرت خطواتهما قليـلا . وكان ذهن جوزيه خاليا من أى شىء عدا فكرة واحدة : « ان أقصر طريق هو طريق ميدان (سان

جرمان) ، لكن الريح ســــتكون عنيفة » .. وبينما كانا يسيران ، راحت جوزيه تتأمل قدميها ، كلما خطت باحداهما أمام الاخرى ، وهى شاردة البال .. وساءلت نفسها : « متى اشتريت هذين الحذاءين ، ومن أى متجر ؟ » .. وما لبث « ألان » ان قال : « يا لرداءة غناء ذلك الشخص ! »

ــ أجل .. فلننعطف الى اليسار هنا .

وانعطفا الى اليسار فى حركة كحركة الجنــود فى عرض عسكرى . واذ ســحب « ألان » يده من ذراعها ، أحست ــ لوهلة وجيزة ــ بأنها كانت ضائعة ، تائهة !

ــ الواقع ان كل هذا فوق ادراكى !

ــ كل ماذا ؟

ولم تكن جوزيه تشعر برغبة فى الحديث عن نفســيهما وحياتيهما .. كانت ترغب فى الوصول الى الفندق بأسرع ما تستطيع ، بل كانت على استعداد لأن تصحبه الى الفراش .. لكنها لم تكن راغبة فى الحديث !!

***

واستند ألان الى جدار ، فأشــعل سيجارة ، ثم ظل مســتندا ، فى مكانه ، محملقا فى الفضــاء . وما لبث ان استرسل : « كل هذا فوق ادراكى .. ماذا أفعل هنا ؟.. أمامى من الحياة ثلاثون عاما ، ثم ماذا ؟.. اية لعبة قــذرة يلعبها القدر معنا ؟.. ما معنى كل ما نفعل ، أو ما نحاول ان نفعله ؟.. **لسوف أصبح ــ يوما ما ــ هبــاء .. لا شىء .**

أتفهمين ؟.. لا شيء .. سأنتزع من هذا العالم ، وسأحرم منه ، وستبقى الارض تدور بعدى .. لكم أحس بالغثيان ! »

فنظرت جوزيه اليه ، وترددت قليلا ، ثم استندت الى الجدار بجواره ، بينما كان هو يتابع الحديث : « انه لأمر غريب ، كما تعلمين يا جوزيه .. من من الناس يطلب ان يعيش ؟.. ان الامر أشبه بما لو كنا دعينا لقضاء عطلة نهاية الاسبوع فى منزل ريفى مشيد من ألواح خشبية نخرها السوس ، ذى درجات خداعة .. وهناك رحنا نبحث عبثا عن صاحبه — سواء كان هذا الصاحب هو الله أو اى كائن — لكننا لم نجد أحدا .. انهامجرد عطلة نهايةأسبوع ، ولا أكثر من ذلك .. فكيف نتوقع ان تسنح لنا الفرصة كى يفهم الواحد منا الآخر ، ويعرفه ، ويحبه ؟.. ما هدف هذه المزحة المشئومة ؟ لا شىء !.. أتدركين ، ذات يوم لن يكون فى الدنيا ثمة شىء ، سوى الظلام ، والفراغ .. والموت !! »

— ماذا يدعوك الى التفوه بمثل هذا الكلام ؟

واذذاك سرت رعدة فى جسدها .. رعدة بعثها البرد والرعب المادى الذى داخلها وهى تستمع الى صوته الحالم ، وقد مضى يقول : « لأننى لا أفكر فى شىء سواه . ولكن ، عندما تكونين معى ، فى الليل ، وحينما يجتمع شملنا فنحس بالدفء ، لا أعير الامر اهتماما على الاطلاق . **هذا هو الوقت الوحيد الذى لا أعير الامر فيه اهتماما .. لايهمنى — اذذاك — ان أعيش أو أموت .. ان خوفى الوحيد هو ان تموتي انت !..**

ان الامر الذى يفوق كل الامور الاخرى اهمية ، والذى يطغى على أى تفكير سواه ، هو أن أحس بانفاسك تلفح وجهى ، فأرقد فى انتظارك كالحيوان ، مرتقبا لحظة استيقاظك ، كى أختبىء فى داخلك .. داخل وجدانك ، وأحتضنك وأهصرك، وأتغذى عليك .. أواه !.. كلما تذكرت انك قد استقللت طائرة بدونى ، وانه كان من المحتمل أن تسقط الطائرة بك!.. انك مجنونة ! فليس من حقك الاقدام على مثل هذا الامر .. هل بوسعك أن تتصورى ان أعيش بدونك ؟ »

الكنه استدرك من فوره : « أعنى أن أعيش اذا أنت مت؟.. بوسعى أن أفهم انك لم تعودى ترغبين فى ! » .. واجتذب نفسا من الدخان ثم ابتعد عن الجدار فجأة ، وأردف :

— كلا . كل هذا فوق ادراكى على أية حال . عندماكنت أجلس بجوارك ، دون أن تشعرى بى — لعدة دقائق — كنت أحس بنفسى مخدرا ، أو ثملا الى حد الموت !.. انه لشىء حقيقى ، أليس كذلك ؟

وأمسك بساعدها وهو يستطرد : « أعنى أن هنالك شيئا حقيقيا .. شيئا حقيقيا يجمع بيننا ، أليس كذلك ؟ »

فأجابت جوزيه هامسة : « أجل ! »

.. وفى تلك اللحظة ، تنازعتها رغبتان متضاربتان : ان تستند اليه ، وتهرب منه فى نفس الوقت ! .. أجل ، كان هنالك شىء حقيقى يجمع بينهما !

وقال الآن : « انى ذاهب .. سأعود الى فندقى . فلو انى رافقتك حتى الباب ، لدخلت معك ! » .. وانتظر بصبر

ثوان ، حتى اذا لم تحر جوابا ، عاد يسألها فى همس : « هل ستحضرين غدا الى فندقى ؟.. وهل ستحضرين مبكرة ؟.. أتعدين ؟ »

ـ نعم ..

وكانت على استعداد لأن تجيب بنعم على أى اقتراح !.. وتبادرت الدموع الى عينيها ، فتقدم منها « ألان » ليعانقها ، لكنها صاحت فيه : « لا تمسنى ! » .. ثم وقفت ترقبه وهو يبتعد !

.. ومع ان فندقها كان قريبا ، فقد استقلت سيارة أجرة .. وأوت من فورها الى الفراش ، فقد استبد بها حزن طاغ ، وراحت ترتجف من البرودة واضطراب الاعصاب . لقد نطق ألان بما كان يجدر به أن يقوله تماما .. **وكان باستخدامه صيغة التعميم فى وصف مشكلتهما ، قد كشف لها عن الحقيقة العارية .. حقيقة الزمن والموت ، ومن ثم تمكن من اقناعها بأن الوسيلة الوحيدة لتجنبهما ـ الى جانب الدين والخمر والجنون ـ هى الحب !..** « اننى أحبك . وأنت لم تعودى متأكدة من انك لا تبادليننى هذا الحب . اننى محتاج اليك ، فماذا يضيرك وتخشين ضياعه ؟ » .. أجل ، لقد كان على حق . ولكن عواطفها ـ فى الوقت ذاته ـ كانت أشبه بعواطف وحش مفترس ثار غضبا لوقوعه فى شباك الأسر .. فسرى اليأس الى فؤادها ، وانتابها استياء بالغ ، اذ سمحت لنفسها بأن تتأثر !

لقد كانت ـ فى بداية الحفلة ـ مرحة ، خالية من الهموم ،

يقظة المشاعر ، فشعرت باشفاق بالغ على « اليزابيث » ، وخلب « سيفران » وحاشيته الصغيرة لبها . ولكن كل شىء بات نائيا بعيدا ، لا معنى له ولا قيمة ، بمجرد أن لمحت يد ألان الى جوارها . لقد فصل ألان بينها وبين المجتمع . ولم يكن السبب فى ذلك أنها كانت تحبه حبا فائقا ، وانما كان ألان يكره المجتمعات ، وقد جذبها معه الى داخل نطاق نفسه المنعزلة عن العالم .. **لقد قدر عليها أن تراه ، وتراه هو وحده .. لأنه لم يكن قادرا على أن يرى سواها !**

وحولت وجهها الى الحائط ،واستغرقت — لفورها — فى سبات عميق .

***

وكان صباح اليوم التالى صحوا ، بارد الجو ، عاصف الرياح . وما أن غادرت جوزيه فندقها حتى شعرت بالندم على انها وعدت « ألان » بأن تزوره فى فندق (ريتز) .. وانتابتها رغبة فى الجلوس خارج مقهى ال (دو ماجوه) أو ال (فلور) ، وممارسة ما اعتادت أن تفعله من قبل : ان تقابل أصدقاءها القدامى مرة أخرى ، وتتجاذب معهم الحديث فى موضوعات تافهة ، وتشرب عصير الطماطم .. وبدا لها ان زيارة ألان فى فندق (ريتز) أشبه بمشاهدة فيلم أمريكى ، اذ كانت تحرمها من الهواء الذى تستنشقه ، ومن أن تخطر متسكعة فى شارع (سان جيرمان) ، فى هدوء وسكينة ، منصاعة لتعليمات أضواء المرور !

وسارت فى ميدان (فاندوم) ، ثم سألت عن غرفة «ألان».

ولم تسترد ادراكها وتفطن الى ألان ، والى نفسيهما معا ، الا عندما فتحت الباب .

وكان ألان راقدا في فراشه ، عارى الكتفين ، وحول عنقه وشاح أحمر . ولمحت عند الطرف الادنى لسريره «صينية» الافطار . وجال بخاطرها - فى قليل من الضيق - انه كان ينبغى أن يتظاهر ، على الاقل ، بأنه كان ينتظر حضورها !.. ذلك لأنها هجرته بمحض ارادتها ، وجاءت الآن لتتحدث معه بشأن حصولها على الطلاق .. فلم تر استقباله اياها بملابس كهذه ، أمرا لائقا ومناسبا لمثل هذا الحديث !

وقال لها : « انك تبدين فى أتم صحة وعافية » .

وكان هناك مقعد واحد ، غير مريح ، فكان عليها أن تختار بين الجلوس على حافته - على أن تنحنى الى الامام ، وتجمد فى وضعها - وبين أن تستلقى الى الخلف .. وآثرت الوضع الاول . وما لبث الان أن قال لها متهكما : « لقد أحسنت صنعا اذ لم ترتدى قبعة ، أو تحملى حقيبة . والا لكان خليقا بى أن أحسبك احدى الاخصائيات الاجتماعيات ، وقد حضرت لتجمعى ما يفيض عن حاجتى للفقراء ! » .. فأجابته بجفاء : « بل حضرت كى أطلب منك الطلاق ! » .. فانفجر ضاحكا ثم قال : « لا داعى لأن تلوحى قاسية بهذا الشكل .. انك كالطفلة .. **بل انك فى الواقع لم تخافى مرحلة طفولتك على الاطلاق .. انها تسير الى جوارك ، فى هدوء ، وتواضع ، وبطء ، وكأنها حياة أخرى . وقد باءت محاولاتك للاقتراب من شخصيتك الحقيقية بالفشل !..** أليس كذلك ياحبيبتى ؟..

لقد كنت وبرنار نتحدث عن . . »

– لست أرى لبرنار شأنا فى هذا . لكننى سأؤنبه لتدخله، على أية حال .

– وستشدين له أذنيه ، فيشرح لك السبب فى أنه يعتبرك أكثر « آدمية » من أى انسان آخر يعرفه !

فتنهدت فى يأس .. لم تكن ثمة جدوى من التحـــدث معه ، ولم يكن أمامها سوى أن تنصرف من الفندق . ومـع ذلك ، فان مزاح « ألان » وابتسامته بعثا فى نفسها قليلا من الاضطراب والقلق . وما لبث أن قال لها : « اتركى هذا المقعد وتعالى هنا !.. أم تراك خائفة ؟ »

– وممّ أخاف ؟

وجلست فوق الفراش ، فأصبح كل منهمـــا قريبا من الآخر ، وأتيح لها أن ترى قسمات وجهه تلين تدريجا ، ولون عينيه يزداد حلوكة . ومد يده فأمسك بيدها ، ووضعها فوق ثنية من الغطاء . وما لبث أن قال : « اننى أريدك !.. وانك لتعلمين اننى أريدك ! »

– ما لهذا جئت ، يا ألان !

ولامس الوشاح الاحمر وجهها ، واذذاك جذبها الى جواره، فلم يعد بوسعها أن ترى سوى بياض الغطاء ، وعنقه الاسمر الذى لفحته الشمس وتركت عليه أثرا واضحا .. وعاديقول لها : « اننى أريدك ! »

– ولكن ، اسمع .. اننى فى ملابس الخروج ، وفى كامـل زينتي .. فلست أستطيع أن أتنفس .. ان لهفتك تبعث في

نفسى الغرور ، ولكن ينبغى أن أتحدث اليك ! »

لكنها وجدت نفسها تتحسس جسده بأناملها ، بحركة لا ارادية . وما لبث هو أن أخذ يلهث وقد التصق بها ، وهو يعبث بأصابعه فى ردائها .. بصبر نافد .. وأخيرا ، استسلمت له ، وهى تسائل نفسها عما اذا كانت تحاول الحصول على قدر من النوم ، بعد ليلة مضطربة ، قضتها فريسة للارق .. أم أنها كانت قد اشتاقت الى ملمس جسد رجل !

وسرعان ما طواهما ذلك اللون الذى يتخذه الحب أحيانا ، وهما يتساءلان - والدموع تملأ أعينهما - عما فرق بينهما كل هذا الوقت .. ونبضات جسديهما تنطق بقوة العاطفة .. وقد تحول شارع (فاندوم) الخافت الاضواء ، الى أمواج من الانوار والظلال ، يطفو عليها فراشهما !

واستلقيا أخيرا فى هدوء وسكينة .. وما لبث ألان أن قال :

- سأبحث غدا عن مسكن لنا !

ولم تبد أى اعتراض !!

***

وقال ألان : « كنت فى (كى لارجو) أشعر براحة أكثر ، وكأنى فى منزلى ، فى حين انك لم تكونى ترتاحين الى ذلك المكان . انك تحتاجين فى الوقت الحاضر الى وجود الناس حولك . ترغبين فى رؤية الاشخاص الذين تؤمنين بهم .. ليكن ! لنر الناس .. أناسك !.. وعليك أن ترشدينى الى اللطاف منهم . وعندما تشبعين وتنالين كفايتك منهم ،

سنأوى الى مكان هادىء ! »

واستمعت اليه جوزيه ، وقد أطرقت برأسها ، وظهر على وجهها تعبير خجول ، كذلك الحياء الذى يساور المرأة الطائشة ، ثم أجابته بقولها : « انها لفكرة طيبة .. وحينما نأوى الى مكان هادىء ، سوف تذكر أسماء الاشخاص الذين ارتاح اليهم – كما تطلق عليهم – وستمطرنى بأسئلتك عنهم .. سوف تقول لى : « ما السبب فى انك أعطيت سيفران « فيشات » فى يوم الجمعة ، التاسع من أكتوبر ؟.. هل كنت خليلته فى تلك الفترة ؟.. الخ »

***

وكان قد ألقى بكأسه فوق الارض ، فى احدى نوباته الصبيانية النادرة ، فقالت الخادم الجديدة انها لن تظل فى خدمتهما طويلا ، اذا استمرت هذه التصرفات !.. وفى النهاية ، غدا مسكنهما منسقا ، جميل المنظر للغاية ، برغم أن سقوف الغرف كانت منحدرة ، أقرب الى الطراز الذى يوحى بالحياة البوهيمية كما تبدو فى أفلام (هوليود) ، منها الى المساكن القائمة فى بقعة عريقة من قلب باريس .. وأثثت جوزيه ثلاث غرف بأثاث فاخر ، جعلها تبدو مريحة ، ثم ابتاعت فوق ذلك « بيانو » وحاكيا كبيرا !

وقضيا أول صباح لهما ، فى هناءة وراحة بال ، فى غرفة لم يكن بها من الاثاث سوى سرير ومصباح ومنفضة سجائر .. وقد راحا يصغيان الى تسجيل رائع لاحدى مقطوعات «باخ» ، لم يلبث أن أسلمهما الى النوم سريعا .. وفي اليوم التالي راحا

يتنقلان بين محلات العاديات القديمة وسوق (البراغيث) !..
ثم حضرا عدة حفلات ، كانت جوزيه مع ألان فيها أشبه بقطة تمسك صفارها بين أسنانها - فى رفق - من خلف أعناقها ، وهى مستعدة لالقائها والهرب بعيدا عنها عند أتفه بادرة تنم عن خطر !.. أو على الاقل ، هذا هو الوصف الذى ابتدعه برنار ، **اذ قال : « لا يتصرف هذا التصرف سوى القطط .. وجوزيه تفعل هذا بدافع الحب ، وليس بدافع الاهتمام برأى الناس فى « ألان » .. » . ثم أضاف بغير اشفاق : « وخوفا من أن يثمل ، أو يتصرف بغير لياقة ، أو يثير فضيحة ! »**

ولكن ، بعكس ما تكهن به برنار ، لعب « ألان » دور الزوج الامريكى الساذج ، المبهور الابصار ، بمهارة واتقان جعلا جوزيه حائرة ، لا تعرف ما اذا كانت هى غاضبة أو مستمتعة بما كانت تشاهده !.. وقال ألان موجها حديثه الى سيفران المغتبط : « انى سعيد بأنك قبلت أن تكون دليلى فى مجتمعكم .. اننا فى أمريكا بعيدون جدا عن أوربا - وعن باريس بالذات - حيث الامور تجرى فى رقة وظرف ، وبكياسة وحذق .. اننى أحس فى وسطكم كأننى ريفى ساذج ، وأخشى أن أسبب لجوزيه حرجا وضيقا ! »

وقد كسب له ذلك الحديث القصير - مضافا اليه وسامته وجمال تقاطيع وجهه - كل القلوب .. بل ان الجميع كانوا يتبرمون من أن جوزيه لم تكن توليه عناية أكثر ، ولم تكن تشعره بالراحة والهناء . أما جوزيه ، فكانت كلما استمعت الى ألان يتحدث اليهم - كل مساء - بهذه الطريقة ، ويعمد

الى « تشريح » مجتمعهم فى وحشيـة باردة .. كانت تحس بشعور حزين ومضحك فى آن واحد ، وكأنما كانت العدالة تتعرض لعملية اجهاض !

وكانا قد اتفقا فيما بينهما ، خلال المناقشـة التى دارت بفندق (ريتز) فى ذلك الصباح الذى لم يكن أى منهما يملك أن يسمى مادار بينهما فيه «صلحا» .. كانا قد اتفقا على أن يبدآ حياتهما على أسس جديدة ، فلقد سئما نزواتهمـا وأوهامهما ، فكان الامر بالنسبة لهما لونا من طقوس النـدم والانابة . راحا يعالجانه معا بهذا المظهر من مظاهر «الضجر» !

.. وفى الحقيقة ، لم يكن الامر – بالنسبة لالان – يتجاوز هذا المعنى : «انك تفرين بأننى يجب أن أقاسمك حياتك كلها !»

.. وبالنسبة لجوزيه : «انك تعترف بأنك لست كل حياتى !»

.. لكنهما لم يكونا يجهران بذلك ، بل كانا يقولان ببساطة : « اننا حران .. ونحن نختلط بالناس .. ونحاول أن نختلط بهم كزوجين متآلفين ! »

وكانت عينا ألان تتبعان جوزيه أينما ذهبت ، متفحصتين كل من كانت تتحدث اليهم ، بحيث كان يخيل اليها انهاتسمع فى قرارتها آلة صغيرة ، تدور باستمرار ، ولاتكف عن مراجعتها وتنبيهها ، واحصاء كل تصرفاتها .. ولم تكن تسمع لكل هذا غير صـدى واهن ، فى الامسيات فقط .. اذ كان « ألان » يخشى أن تعاود جوزيه الهرب منه ، ولكنها كانت تشعر دائما بكل تلك المراقبة ، حتى انها كانت لا تفتأ تلتفت خلفها – على حين غرة – لتضبطه متلبسا بالتجسس عليها ، كما اعتاد أن

يفعل !

وفيما عدا ذلك ، كان هنالك الفراش ، والوصال الجنسى .. وكانت تسائل نفسها عما اذا كان لذلك الوصال دوام ، يتغلب على ضجرها !.. وفى أثناء الليل ، كانا يستعيدان عواطفهما السالفة ، ولهفتهما ، وانبهار الانفاس الذى يصاحب الحب . لكن ذلك كله كان ينقلب — فى الصباح التالى — الى شكوك وسوء ظن متبادلين . ومما لاريب فيه أن اللذة الحسية لم تكن السبب المباشر والوحيد لبقائها معه ، ولكن . هل كانت ترتضى العيش معه بدونها ؟

واستسلما — فى تلك الاثناء — لحياتهما الجديدة : فترات الصباح الطويلة ، وجبة الغداء الطفيفة ، فترات بعد الظهر التى يكرسانها لزيارة المتاجر أو المتاحف ، ووجبة العشاء التى يتناولانها مع أصدقاء جوزيه القدامى .. ولم يكن « ألان » يمارس عملا ، بالطبع . فعاشا حياة السياح . وقد ساهم ذلك فى احساس جوزيه بعدم الاستقرار ، والبعد عن الواقعية ! .. وكان ألان — خلال ذلك — يعاملها بلطف بالغ .. لطف يحتفظ به المرء لارضاء نزوات وأهواء الآخرين ..

وكانا يشاهدان برنار كثيرا ، فأدرك اللعبة التى كانا يمثلانها . وحاول من جانبه — بكل وسيلة — أن يساعد جوزيه ، وأن يعيد اليها (باريس) التى كانت تعشقها ، ويبعث لها مفاتن عاصمة المرح ، ويردها الى صلتها بالناس .. لكنه كان يحس — معظم الوقت — وكأنه كان يبذل محاولاته مع « كتلة صماء » ، وليس مع امرأة شابة ، حرة ، كان يجدر بها

أن تكافح من أجل نفسها .. كان بوسعه أن يرى عينيهـــا تروغان ــ فجأة ــ فتجولان فى غرفة الاستقبال ، ثم تلتقيان مع عينى الان ، لتعودا اليه مرة أخرى ، فى قلق ووجل ، وقد بان فيهما نوع من الغضب المكظوم !.. وانتهى به الامر الى أن رأى أن المرة الوحيدة التى أظهرت فيها شيئا من الاستقلال ، هى زلتها السخيفة مع صياد سمك القرش !

واذ أفضى اليها ــ ذات يوم ــ بذلك ، أشاحت بوجههـــا بعيدا ، متجنبة نظراته . واستطرد قائلا : « انك تبـــدين وكأنك تحيين حياة مزدوجة .. كأن ثمـــة حيـــاة أخرى تتعقبك .. حياة أقرب ما تكون الى الطفـــولة ، حتى انك لا تستطيعين أن تنتزعى نفسك منها .. **حياة لست مسئولة عنها ، الا انك تعاقبين عليها !**» .. فهزت جوزيه رأسها شاردة!

واجتمع برنار وجوزيه فى تلك الليلة مرة أخرى فى منزل سيفران ، وكانا وسط حشد كبير من النـــاس ، بحيث كان بوسعهما أن يتحدثا دون أن يسمعهما أحد ، لفرط الصخب . وقالت له ، خلال حديثهما : « انك تفهم الامور جيدا .. فهل لديك شىء أفضل ، لتقـــدمه الى ؟ » .. فكاد يجيبهـــا : « كل شىء » ، ولكنه تردد فى النطق بها اذ أحس شيئا من الحرج !.. غير انه ما لبث أن استطرد : « أنا ؟.. ليس لذلك علاقة بى ، فحقيقة الامر انك أسيرة ، تعسة .. وهذا وضع لا يناسبك ! »

ــ فما الذى يناسبنى اذن ؟

ــ أى شىء لا تكونين مرغمة على الرضـــوخ له .. انك

تأخذين الامر كقضية مسلم بها ، لمجرد ان الان يحبك بطريقته المجوجة .. ولكن الامر ليس على هذه الصورة !

وتناولت جوزيه لفافة ، وابتسمت اذ اقتربت بها من « ولاعته » التى مد بها يده اليها .

ـ دعنى أشرح لك الامر : **ان ألان يؤمن بأن كل انسان يتمرغ فى الوحل الذى ولد فيه ، ولا تستطيع ثمة قوة فى الارض أن تنتشله منه .. ولا من أوهامه الغامضة ، وعباراته المبهمة ، التى يفرض على نفسه النطق بها يوميا !**

واستندت الى الجدار ، وقد سرت الراحة ـ فجأة ـ الى نفسها ، وراحت تتحدث بصوت خافت للغاية ، حتى ان برنار اضطر الى أن ينحنى الى الامام كى يسمعها :

ـ لكننى لا أؤمن بمثل هذا الخواء .. مثل هذا الانفعال النفسى يبعث فى نفسى سأما خانقا .. بل انى أؤمن بأن كل انسان يرسم حياته ، بخطوط قوية ، وبطريقة ايجابية رائعة. بل ان ..

وأمسكت بيد برنار وضغطتها ، فأدرك انها قد نسيت تماما ـ لوهلة وجيزة ـ نظرات ألان المتفحصة . ثم استطردت :

« بل اننى لا أؤمن بأننا مجرد أرقام .. واننا أقرب الى الحيوانات الحية .. حيوانات حية تبعث أنغاما ! » . فعصر يدها بين يديه ، واحتفظ بها ، فلم تسحبها .. واحس برغبة فى تقبيلها ، واحتضانها بين ذراعيه ، مواسيا اياها .. ثم همس لها : **« يا حيوانى الصغير الجميل .. حيوانى الصغير الجميل .. حيوانى الصغير الشادى بالانغام ! »** .. وفي لطف

ابتعدت جوزيه عن الجدار ، وطبعت على شفتيه قبلة رقيقة، وسط ذلك الحشدمن الناس !

وقال برنار لنفسه وقد أغمض عينيه : « لو ان ذلك الغبى جاء صائحا مهللا .. لو أن زوجها المخبــول تدخل بيننا ، لنسفت مخه ! » .. لكن شفتيها كانتا قد فارقتا شفتيه ، فاكتشف أن بوسع المرء أن يقبل امراة على شفتيها ، فى وسط حفلة صاخبة ، دون أن يلاحظ أحد شيئا !

وعلى الفور ، ابتعدت جوزيه عنه . ولم تكن لديهـا أدنى فكرة عما دفعها الى تقبيله ، لكنها لم تحس بأى قدر من الخجل أو الحرج .. فقد كان فى النظرة التى رمقها بها شىء يصعب مقاومته .. تعبير يفيض بالحنان ، والقبول !

لقــد كانت متزوجة من الان ، وكان برنار متزوجا من نيكول .. ثم انها لم تكن تحب برنار ، بل أنهـا لم تشعر فى حياتها بارتباط كذلك الذى شعرت به نحو الان فى تلك اللحظة .. وخيل اليها انها ما كان بوسعها أن تحتمل أن يعلق الان اهمية على الامر . ماذا لو انه فاجاهمـا ؟!.. لكنها كانت تدرك جيدا - فى الوقت ذاته - انه لم يرهما .. كان مشهد تلك القبلة خليقا بأن يعذبه عذابا فظيعا ، لا قبل له باحتماله. ومن ثم فلا بد أن شيئا ما حال بينه وبين مشاهدة هــذا المنظر .. وقالت فى نفسها : « لقد بدأت أؤمن بالقدر ! » .. وضحكت .

واقبل الان يقول : « لقد كنت ابحث عنك . هل تتصورين انني قابلت شخصا كنت أدرس الرسم معه في الجامعة ؟ انه

يقيم هنا ، واننى لأفكر جديا فى متابعة دراستى معـــه من جديد » . فأجابته جوزيه مذهولة : « اذن ، فأنت ترسم ! »

ــ كنت شديد الشغف بالرسم عندما كنت فى الثامنة عشرة من عمرى . ثم انها مهنة ، أليس كذلك ؟.. لقد تم تأثيث المسكن وتجهيزه ، ولست أعرف كيف أقضى وقتى ، اذ اننى لست واقعيا فى تفكيرى .

وكان صوته يفيض بتحمس يفوق ما كان ينطوى عليـــه من تهكم وسخرية . وامســـك بكتفيها ، وضـــمها الى صدره بقوة ، ثم قال : « لا تخشى شيئا ، فلن أطلب منك أن تخلطى لى الالوان .. وبوسعك أن تهيمى فى كل مكان مـــع اصدقائك ، او بمفردك .. وهذا افضل » .

ــ وهل انت موهوب ؟

ودار بخلدها : « ربما انقذنى ذلك . فقد يتجـه اهتمامه الى شىء آخر ، ســوانا » .. وفى نفس الوقت ، أحست بالاشمئزاز من نفسها ، اذ راحت تفكر بمثل هذه الانانية ..

ــ لست أعتقد ذلك ، حقا .. لكننى بارع فى الرسم . وستصلح الغرفة الخالية ، الموجـودة فى الطرف الخلفى من المسكن ، لذلك .

ــ انها مظلمة ، ولن يكون بوسعك ان ترى شيئا !

ــ بل اننى لا استطيع ان ارسم ما تشاهده عيناى !

قال ذلك ، ثم انفجر ضاحكا ، واستطرد : « سأرســـل لوحتى الاولى الى امى ، لتعرضها على طبيب العائلة النفسانى .. ولا ريب في انه سيري في الامر ما يستدعي الاهتمام ! »

.. ونظرت اليه مترددة ، فأفلتها من ذراعيه ، وهو يقول : « ألست مسرورة ؟.. لقد ظننت انك تحبذين ان أقوم بعمل مستقل ، خاص بى » . فأجابته : « اننى مسرورة جدا ، فسوف ينجم عن ذلك خير وفير لك »

وكان ألان يعرض عليها — فى بعض الاحيان — ما تأثر به من آراء أمه .. فكادت هى ان تشارك الام بعض هذه الآراء !

***

— كيف تسير بك الامور ؟

وكانت جوزيه قد فتحت الباب ، ودفعت رأسها داخل الغرفة ، فاذا ألان يرتدى حلة أنيقة داكنة ، اشتراها خصيصا ليرتديها أثناء الرسم ، وقد جلس فى مقعد مريح ، يدخن . وبدا كأنه كان ينتظر هبوط الوحى عليه !.. ومع انه اعتاد ان ينفق هناك كل فترات ما بعد الظهر ، خلال الاسبوعين الاخيرين ، الا انه كان — فى كل مرة — يغادر الغرفة دون ما أثر للازهاق ، وفى حالة نفسية طيبة ، وملابسه نظيفة لم تلوثها قطرة واحدة من الالوان !

وكانت جوزيه — فى كل مرة تشاهده فيها على هذه الصورة — تبهت وتحتار . ولكن .. **سواء أكان ذلك حيلة منه أم لم يكن ، فانه كان يتيح لها أربع ساعات تقضيها بدونه .. وكان ذلك غاية مرادها ، وفوق ما كانت تبتغى !**

واجاب « ألان » على تساؤلها بقوله :

— ان العمل سائر على ما يرام . ماذا كنت تفعلين ؟

— لم أكن أفعل شيئا .. كنت أتسكع فى الشوارع !

وكانت تلك هى الحقيقة ، فقد اعتادت أن تقود سيارتها ــ بمجرد فراغها من الغداء ــ فى بطء ، مخترقة الشوارع ، ومتوقفة كلما تراءى لها ذلك .. واثناء جولاتها صادفت ميدانا حاز اعجابها بشكل خاص ، بسبب شجرة فيه كانت توحى « بالرومانتيكية » !.. فصارت كثيرا ما تقضى ساعات هناك ــ دون ان تغادر السيارة ــ متطلعة الى المارة ، متأملة الريح وهى تهز الاغصان التى جردها الشتاء من أوراقها .. وكانت تغرق فى أحلام اليقظة ، أو تدخن ، أو تستمع ــ أحيانا ــ الى المذياع ، دون ان تتحرك من مكانها قيد انملة ــ (حتى ليحسبها من كان يراها على تلك الحال ، ميتة !) ــ وقد امتلأت احساسا دافقا بالمتعة .. **على انها لم تكن تجرؤ على مصارحة ألان بكل ذلك ، فقد كان استمتاعها خليقا بأن يجعله أكثر غيرة مما لو انها كانت مع شخص آخر .. فى حين انها لم تكن راغبة فى رؤية أحد !**

وبعد ان تقضى هناك ساعات طويلة على هذا النحو ، كانت تقود سيارتها فى بطء ، دون ان تعرف لنفسها وجهة معينة .. على ان الاصيل كان لا يلبث ان يضمحل ، فتثقل نفسها ضرورة العودة الى ألان ، وان داخلها ــ مع ذلك ــ احساس بالراحة ، وكأن تلك العودة كانت الرباط الوحيد الذى يشدها الى الحياة ..

ــ ومتى سترينى شيئا من رسمك ؟

ــ ربما خلال أسبوع . لماذا تضحكين ؟

ــ لانك تبدو كما لو كنت فى حفلة شاى رسمية .. برغم

ان المرء يسمع — دائما — عن فنانين يكافحون فى سبيل انتاج رسومهم !

— لست أعلم شيئا عن الكفاح .. غير اننى لا احتمل ان تتلوث أصابعى ، وان كان من العسير عليك ان تتجنبى التلوث وانت ترسمين . اننى أحس بالظمأ ، ألست كذلك ؟

— بالفعل . سأعد لك كأسا من « المارتينى » القوى ، ريثما تزيل تلك البقعة القرمزية عن أصبعك السبابة .. هكذا ينبغى ان تكون زوجات الفنانين جميعا .. ذوات نزعة « عملية » ، يسدين لأزواجهن العون !

وكان ألان قد خفف من اقباله على الشراب ، منذ أن بدأ فى ممارسة الرسم .. وعاد يسألها :

— وأين ذهبت ؟

— لم أذهب الى مكان معين . تناولت قدحا من الشاى فى ميدان صغير بالقرب من (بورت دورليان) .

— بمفردك ؟

— نعم .

وابتسم . فتفرست فيه مستريبة ، ثم أطلق ضحكة صغيرة !.. فقالت : « أحسبك لا تصدقنى ! »

— أوه ، كلا .. بل أصدقك !

واذ كانت تحدثه فى رقة ، فقد احمر وجهه خجلا ، وارتفع صوته بالقول : « **انك سعيدة لان نوبات غيرتى الفظيعة قد خمدت .. انك سعيدة لأن عقلى لم يعد مشغولا بفكرة واحدة فقط ..** انك سعيدة لأننى قد اصبحت — أخيرا — ذا مهنة

مثل أى رجل يستحق لقب انسان ، حتى لو انتهى الامر الى تلويث قطع من الخيش بالالوان .. أليس كذلك ؟ » .. فارتمت فى المقعد دون ان تحير جوابا .. لقد كان ذلك نذيرا بنشوب معركة بينهما . وما لبث ان استطرد قائلا :

ــ انك تحدثين نفسك قائلة : « ان زوجى قد أصبح ــ أخيرا ــ رجلا حقيقيا .. انه يعطينى أربع ساعات من السكينة والسلام يوميا .. انه يلطخ قطعا من الخيش ، يعجز عن شرائها شخص ربما اوتى ضعف موهبته .. ولكن ، ما اهمية ذلك ، مادام يتركنى بمفردى ! » .. أليس كذلك ؟

ــ اننى سعيدة بأنك قد غدوت ــ أخيرا ــ ذا ضمير حى ازاء المجتمع .. **على اية حال ، انت لست الوحيد الذى يلهو «بالتلطيخ» ، ان كان ذلك هو كل ما تستطيع أن تفعل !**

ــ ان ما أفعله ليس مجرد « تلطيخ » ، بل هو أكثر من ذلك قليلا .. انه شىء يشغل به المرء نفسه ، ولا يقل قيمة عن الجلوس ساعات فى السيارة ، والحملقة فى الميدان !

وبدأت تقول : « لست انتقدك ، ولكن .. » . غير انها توقفت قليلا ، قبل ان تستطرد : « كيف عرفت اننى .. ان .. ميدانى ؟ » . فأجاب : **« لقد كلفت احدهم بمراقبتك .. ماذا تظنين ؟ »** . فنظرت اليه فى ذهول ، وكأن صاعقة قد انقضت عليها .. ولم يكن الاحساس الذى استولى عليها غضبا ، بل كان هدوءا مخيفا ، فظيعا .. فقد تأكدت من ان شيئا فى افقهما لم يتغير ، وان حياتهما كانت تسير كالمعتاد !

ــ كلفت احدا بمراقبتى ؟.. كل فترة بعد الظهر ؟..

أأنت ترسم حقيقة ؟

ثم انفجرت ضاحكة ، فسرى فى وجهه شحوب الموت ، وقبض على ذراعيها فى قوة ، جاذبا اياها الى الغرفة الخلفية ، وضحكتها لا تزال تجلجل فى ارجاء المسكن . وقالت : « ذلك المخبر المسكين .. لابد انه كان يموت سأما وضيقا ! »

– هاهى ذى لوحتى الاولى !

وكشف الغطاء عن اللوحة . وبرغم ان جوزيه لم تكن تفهم كثيرا فى فن الرسم ، فان الصورة لم تكن رديئة ، فكفت عن الضحك ، وقالت : « اتعرف ؟.. انها جيدة ! »

فدفع ألان اللوحة الى الخلف حتى التصقت بالجدار ، وراح يتفحصها بنظراته بضع لحظات ، ثم سألها : « **فيم تفكرين عندما تجلسين بمفردك فى السيارة لعدة ساعات ؟.. فيم تفكرين ؟ أخبرينى ! أرجوك ! »**

واحتواها بين ذراعيه ، وضمها فى قوة الى صدره ، فأفعمت نفسها اشمئزازا وشفقة !.. وسألته : « لماذا تكلف مخبرا بمراقبتى ؟.. الا تعلم انه لم يعد هناك من يفعل ذلك الآن ، وانه يعتبر من سوء الادب ؟.. لابد ان ذلك المخبر المسكين يحقد على ميدانى ! » .. وشعرت بضحكة كادت تفلت منها ، رغما عنها ، فعضت على شفتيها ..

– أخبرينى فيم تفكرين ؟

– أفكر فى .. لست أدرى حقا ، لست أدرى فيم أفكر .. ربما فى تلك الشجرة ، أو فيك ، او فى الناس ، أو فى الصيف ..

على انها تخلصت من ذراعيه فى عنف ، وقد فارقتها كل رغبة فى الضحك ، وصاحت : « دعنى وشأنى ! انك تشبه .. لست اعلم كيف اعبر .. انك تبدو دنيئا ، فاسد الاخلاق ، عندما تستجوبنى على هذه الصورة .. لست أفكر فى أى شىء . أتسمعنى ؟.. لا شىء على الاطلاق ! »

وصفقت الباب ، وانطلقت راكضة الى خارج المنزل .. وحينما عادت بعد ساعة ـ وقد هدأ روعها قليلا ، واستعادت هدوء فكرها ـ وجدته غائب الوعى .. من الشراب !!

***

كان ثلاثتهم جالسين فى غرفة الاستقبال ، وقد أثثت أخيرا بأريكة ومقعدين كبيرين . وكانت جوزيه مستلقية على الاريكة ، فى فترة ما بعد الظهر ، والرجلان يتطلعان اليها من حين لآخر أثناء حديثهما .. وقال برنار : « من ذلك ترى ـ ياعزيزى ألان ـ ان «لورا» مجنونة بحبك !» . وقالت جوزيه فى عدم اكتراث : « هذه بادرة طيبة .. فقد تسببت ـ فى زمانها ـ فى عذاب عدد لا بأس به من الرجال ! » .. فأجاب ألان وقد بدا الفزع على وجهه : « لا أذكر أين رأيتها ؟! »

ـ « لورا دور » ؟.. انها كانت فى حفلة سيفران منذ عشرة أيام .. وهى تناهز الخمسين من عمرها . وقد كانت فى شبابها بارعة الجمال ، وما زالت تحتفظ بمسحة من ذلك الجمال . وقد اعتادت أن تستقبل المعجبين ، كل خميس .

ـ فى الخمسين ؟!.. هذه مبالغة منك يا جوزيه . لا يمكن أن تكون قد تجاوزت الاربعين . والحق انها لفاتنة !

فقال ألان : « على أى حـــال ، ليس لدى وقت أقضيه معها . ولا احســـبك تغارين منها ، أم لعلك تفعلين ؟ » .
فأجابت جوزيه مبتسمة : « من ادراك ! »

وانفجر برنار ضاحكا . . كانا يعمدان فى الفترة الأخيرة الى تناول الموضوع بالفكاهة والمزاح ، للتغلب على غـيره ألان ، وكأن تلك الغيرة كانت من قبيل الشذوذ والغـــرابة . وكان ألان — فى كل مرة — يشاركهما الضحك ، كما لو كان تصرفه غير قابل للتغير حقا !

— والآن ، هل سنذهب لرؤيتها بعد تناول العشاء ، أم لن نذهب ؟ لقد آن ان انصرف على الفور .

فقال ألان : « سأفكر في الامر . أوه ، ســـــنذهب أولا لمشاهدة أحد الافلام المثيرة ، ثم نلحق بك فيما بعد »

وما ان انصرف برنار ، حتى ناقشا — لبرهة — أمر « لورا دور » . كانت جوزيه تعرفها حق المعرفة ، وكانت متزوجة من تاجر كان يقوم بالانفاق على مطالبها . وكانت مستهامة فى التعلق بالحياة الاجتماعية التى يعشقها سيفران ، وتحتفظ لنفسها بعاشقين أو ثلاثة ، كل منهما على علاقة وثيقة بالآخر ، دون ان تعكر صلاتهم جميعا أية فضـــائح !. . وكانت قد عذبت كثيرين من المعجبين بها دون ما مراعاة لمشـــاعرهم واحساساتهم !. . كانت من ذلك الطراز من النساء اللواتى يلحن متيقظات ، وعلى أهبة الاستعداد. هذا فضلا عن أن لورا كانت متوقدة الذكاء ، وغالبا ما كان وجودها فى مكان ما ، يغمر الحاضرين بالمتعة والتسلية ، مما جعل جوزيه تكن لها

قدرا لا بأس به من الاحترام .

ووصلا الى منزلها فى منتصف الليل ، بعد أن قضيا وقتا فى مشاهدة أحد الافلام الخليعة ، وانصرفا منه وهما فى أتم بهجة وصفو بال .. واستقبلتهما لورا بعاصفة من الترحيب . كانت طويلة القامة ، ذات شعر احمر ، ووجه يشبه وجه القطة ، وجسد فاتن مياس . ودهشت جوزيه اذ وجدت نفسها تحس بالتوجس والانقباض .

وما ان فرغت لورا من تقديمها الى الضيوف ، قائلة : « هل تذكرون جوزيه ؟ » و « هذا (آلان آش) » ، حتى أخذ « آلان » يلعب دور الامريكى المأخوذ . وعلى الفور ، التف الجميع حوله . بيد أن برنار مالبث أن همس لجوزيه: « يبدو انهماقد صارا على اتم وفاق » . فتساءلت جوزيه : « ماذا ؟ »

ـ « لورا » ، و « آلان » . انظرى !

وكانا جالسين فى الطرف الآخر من غرفة الاستقبال ، وقد راحت لورا تغمر آلان بنظراتها ، ولاح على وجهها تعبير غريب ، بينما بدا آلان مبتسما ، وهو يروى لها قصة « الفيلم » الذى شاهده منذ قليل ، فأطلقت جوزيه من فمها صفيرا ، وهتفت : «هل شاهدت التعبير الذى ارتسم على وجهها ؟»

ـ هذا ما يطلق عليه « وجد » .. الوجد ، كما تعبر عنه لورا دور .. هو الحب من اول نظرة يا حبيبتى !

فقالت جوزيه : « يا للمسكينة ! »

ـ لا تكونى بالفة الثقة والطمأنينة . ان الامر يثقل على

أعصابى . ولو شئت نصيحتى ، لقلت لك : **تظاهرى بالغيرة ، فان هذا يتيح لك فراغا كبيرا تتنفسين فيه . بل الجأى الى الغيرة الحقيقية ، فمن يدرى ؟!**

وابتسمت . كان من العسير عليها ان تقنع نفسها بالارتياح لفكرة ترك « ألان » عرضة لأحضان لورا « الملوثة » .. بل انها كانت تفضل على ذلك ان يركز ألان جهوده فى الرسم .. وتراءى لها هجرانها اياه أقل احتمالا من استمرارها فى الحياة معه !.. فمنذ عادت الى باريس وهى تحس كأنها تسير فوق حبل مشدود .. كأنها تعيش فى حالة « حياد مسلح »، وقد حرمت من السعادة ، كما حرمت من القنوط الذى خبرته فى (كى لارجو) !

وهمست لنفسها : « انه حل لم يتم نضجه ! » .. فأجاب برنار : « ذلك ــ غالبا ــ خير الحلول » .. ثم أضاف فى تردد : « اذا لم أخطىء الظن ، فانت لا تزالين راغبة فى التخلص منه ، دون ان تثيرى ضجة . ألست على حق ؟ » .. فأجابت : « أظن ذلك . لست بعد متأكدة من رغباتى .. اللهم الا رغبتى فى السلام وسكينة النفس » .

ــ انك تبغين رجلا آخر .. لكنك لن تعثرى يوما على رجل آخر ، ما ظل ألان الى جوارك . ألا تدركين ذلك ؟

ودار بخلد جوزيه : « لست متأكدة مما ترمى أنت اليه ! » ، لكنها لم تنطق بشىء مما دار فى نفسها . واتجه ألان نحوها ــ وقد تبعته لورا ــ فحدثت جوزيه نفسها : « ان النساء الناضجات لا يلقن به ، انه جميل اكثر مما ينبغى ،

ومن ثم فهو يبدو الى جوارهن كما لو كان « جيجولو » ، من أولئك الذين يبيعون الغرام لعجائز النساء ! »

وقالت لورا : « لقد كنت أتوسل الى زوجك ان يقضى نهاية الاسبوع فى ضيعة (فو) ، حيث أملك منزلا . ويبدو انه قد يقبل ، لكن قراره يتوقف عليك انت . وانا واثقة من انك لست ـ الآن ـ اقل اعجابا بالريف مما كنت فى الماضى . ألست كذلك ؟

وفى سرعة ، خطر بذهن جوزيه : **« الى من تلمح ؟ .. أوه ، أجل لقد قضيت فترة من الزمن فى منزلها ، مع « مارك » ، منذ خمس سنوات ! »** .. وابتسمت ، ثم قالت : « اننى أعبد الريف ، ويسرنى ان ألبى دعوتك »

والتفت ألان الى لورا يقول : « سيكون لذهابها أحسن الاثر عليها ، فهى تبدو شاحبة اللون هذه الايام » . واجابت لورا فى هدوء : « ينبغى ان تبدو المرأة دائما فاتنة ، مادامت فى شبابها » .. وما ان امسكت بذراع ألان مصطحبة اياه ، حتى انفجر برنار ضاحكا : « يالها من « اسطوانة » قديمة ، تلك التى ترددها لورا اذ تقول : « ان جوزيه فتاة صغيرة يا عزيزى ألان ، أما نحن فقد كبرنا .. الخ . » وليس أمامك يا جوزيه سوى ان تأخذى معك زجاجة ماء ساخن الى فراشك ، تمهيدا لقيامك بدور الوصيفة العجوز لـ « مسيو دور » ، اذا ما حللتما فى ضيافتها ! » .. فقالت جوزيه : « أرجح اننى سأستمتع بهذا الدور . فأنا أعبد لعب الورق ، وزجاجات الماء الساخن ، والشيوخ . كما ان خيانة النساء

الاخريات لازواجهن تملؤنى غبطة وسرورا ! »

وعندما عاد آلان وجوزيه الى منزلهما ، بادر آلان يقول لها — متباهيا — ان لورا مثال للسيدة الاجتماعية ، التى تعرف كيف ترفه عن ضيوفها !.. فأضافت جوزيه : « أغرب ما فى الامر انك لم تعجب بواحدة من اللواتى عرفتك بهن — واللاتى اعترف بأنهن يعانين قليلا من « الجنون » — فيما عدا التى لا تتمتع منهن بأية فضائل رئيسية ! »

— وما هى الفضائل الرئيسية ؟

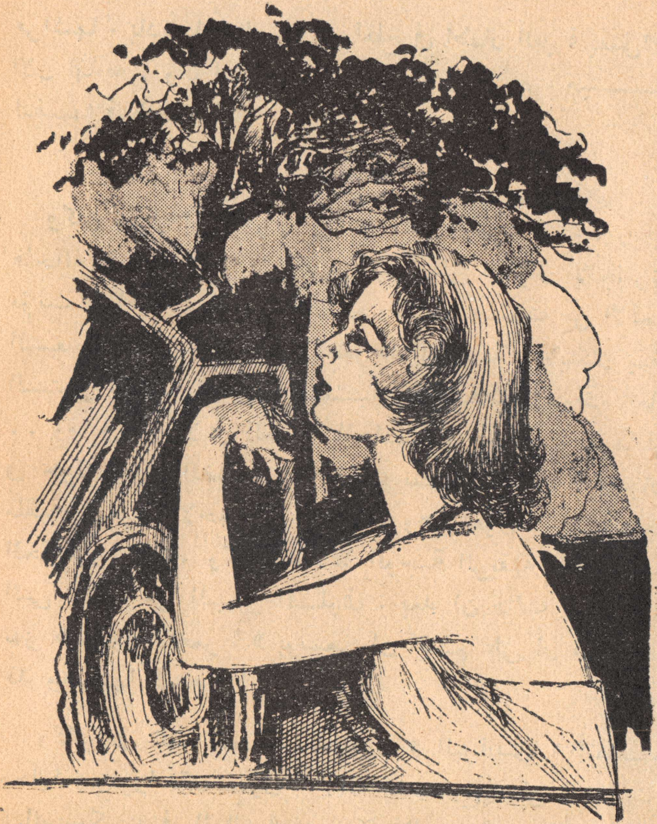
كان فى حالة نفسية طيبة — فلا ريب ان « لورا » كانت قد أمطرته بوابل من عبارات المديح والثناء ! — وأجابته :

— الفضائل الرئيسية ؟.. لست أعلم تماما . ربما كانت فى تمتع الانسان بروح الدعابة ، أو تجرده من الانانية .. ولورا لا تتمتع باى منهما !

— ولا أنا أيضا .. ولكنى أمريكى .

— وهذا بالضبط ما يعجبها فيك . لا تنس ان تأخذ معك قميصك المزركش لترتديه عند تناول الافطار .. انك تبدو فيه كشاب من رعاة البقر ، الامر الذى سوف يثير انفعالها !

فاستدار آلان نحوها قائلا : « اذا كان يضايقك قضاء نهاية الاسبوع فى منزلها ، فانت تعلمين ان فى وسعك ان لا تذهبى » .. وكان يبدو مغتبطا ، فقالت فى نفسها : « يجب ان أغضب ، وان ابدى الغيرة .. ان برنار على حق ! » . وأزالت آثار الزينة عن وجهها ، واندست فى



«وكانت تغرق فى أحلام اليقظة ، أو تدخن ، أو تستمع الى المذياع»

(ص ١٠٥)

فراشها ، بادية الغيظ : « لن أفلح فى اظهار الغيرة بمثل اتقان الان لها » . وما لبثت ان استغرقت فى النوم ، مبتسمة لنفسها فى الظلام !

***

وكان منزل لورا فى (فو) فى بادىء امره منزلا ريفيا ، فأحاله منسق ماهر الى قصر ريفى على الطراز الانجليزى ، مؤثث بأرائك طويلة من الجلد ، وستائر صنعت من الاقمشة الشعبية الخشنة ، والتى اظهرها التصميم والابتكار بمظهر الستائر الغالية الثمن ، المتمشية مع أحدث الاذواق العالمية .. وما ان وصلا فى الساعة الخامسة ، حتى صحبتهما لورا فى جولة حول الضيعة ، واخذت تتسكع أسفل الاشجار ، ملقية بشعرها الاحمر الى الخلف ، وهى تقول : « هذا ملجأى الحقيقى ! » .. وكانا قد اكلا الوجبة الريفية التقليدية ، التى تتألف من البيض المسلوق ، بعد ان قالت لورا وهى تهز شعرها الاحمر : « بوسعى ان أقسم على ان الدجاجات قد وضعتها اليوم » !

وكانوا فى تلك اللحظة يتذوقون « البراندى » المصنوع محليا ، ولورا تقول : « انه يضارع أرقى أصناف « الويسكى » فى العالم » .. وكان الوهج المنبعث من المدفأة يتألق ثم يخبو فوق شعرها الاحمر . اما جوزيه فكانت قد استقرت فوق الاريكة ، وراحت تتساءل — فى نفسها — عن المدة التى تستطيع مضيفتها ان تظل فيها جالسة القرفصاء

أمام المدفأة ، مثل « جيجى » (۱) ، معرضة أظافرها الملونة بالطلاء ، ووجهها الفاتن ، لحرارة الاخشاب المشتعلة !

وكان الضيوف الآخرون – عدا جوزيه والان – يتألفون من رسام شاب ، قليل الكلام ، وامرأتين فى مقتبل العمر ، لا تكفان عن الثرثرة ، وشخص آخر – من المرجح انه كان زوج لورا – وكان ضئيل الجسم ، نحيف القامة ، ذا عينين زرقاوين – غطاهما بمنظار – يتردد كثيرا قبل ان يقدم على تناول لفافة ..

وانطلق ألان على سجيته ، فانهمك فى الحديث مع احدى المرأتين الشابتين عن نيويورك . فتثاءبت جوزيه قليلا ، ثم قررت ان تمضى الى الغرفة الاخرى : المكتبة . وكانت لورا قد قالت للجميع : « يجب ان تشعروا كأنكم فى منزلكم .. اننى احتقر المضيفة التى تفرض نفسها على ضيوفها » . وسرعان ما استغرقت جوزيه فى مطالعة احدى الروايات ..

وبعد عشر دقائق ، ألقت بالكتاب جانبا ، وأغمضت عينيها .. لقد كانت تجلس – منذ خمس سنوات – فى ذات الغرفة ، بين « مجموعة » أصدقائها ، وفتاها المقرب فى تلك الفترة .. كانوا قد انطلقوا من باريس فى سرعة جنونية ، وقد تزاحم أربعة أو خمسة منهم داخل سيارة « مارك » العتيقة ،

---

(۱) كتابى : « جيجى » هى بطلة القصة المشهورة للاديبة الفرنسية ذائعة الصيت « كوليت » ، وقد سبق ان نشر « كتابى » تلخيصا للقصة المذكورة فى العدد رقم (٣٤)

اذ كانوا قد اعتادوا فى تلك الفترة ان ينطلقوا فى جماعات دائما . وقضوا الليلة كلها فى الحديث والضحك ، بينما كاد مارك ان ينشق كمدا وغيظا ، اذ كان يفضل ان يأوى معها الى مخدعهما . لكم كانوا اصدقاء أوفياء ، تتناوبهم الغيرة والحنان ، دون ان يخطر لهم يوما ان الحياة يمكن ان تفرق بينهم ، وان هناك فى الوجود ما هو أهم من ضحكهم وصخبهم ، والثقة التى كان كل منهم يوليها للآخر ..

وتساءلت جوزيه عن السبب فى ان تلك الذكريات كانت بالفة المرح والايلام فى آن واحد .. وفى انها كانت تثقل قلبها ، وكانها خطر يهدد سعادتها .. وفجأة نهضت عن مقعدها ، اذ لمحت زوج لورا مستلقيا فوق المقعد الآخر . ورآها هو أيضا ، فأجفل ..

وابتسمت جوزيه ، وأشارت كى يظل حيث كان . فغمغم قائلا : « لم أكن أعرف انك هنا . هل لك فى شراب ؟ » . فهزت رأسها .. وعاد يقول : « لم أطق الدخان الذى يملأ جو الغرفة . **انه لأمر رائع أن يمتلك المرء هذا المأوى فى الريف، حيث يستطيع أن يجد بعض الراحة ، بعد الحياة المضنية التى نقضيها فى المدينة »** .

وجلست جوزيه الى جواره .. كان وجهه أشبه بوجه طفل فى الستين ، مكتنزا ومليئا بالتجاعيد فى آن واحد !.. وكانت عيناه تلتمعان خلف منظاره .. ومضى يقول : « لا تعيرى ما أقول اهتماما . لابد اننى قد أفرطت فى الشراب . ففى كل مرة تستقبل فيها زوجتى ضيوفا ،

احتسى كمية كبيرة من « البراندى » ..

وحدثت جوزيه نفسها : « اما انه ثمـــل ، واما انه بالغ الشقاء .. وانه يتمتع بقدر من روح الفكاهة » .. وفضلت – بغريزتها – التفسير الاخير !

– هل يضايقك ضيوف لورا كثيرا ؟

– كلا ، على الاطلاق . فلست أمكث هنا الا لماما ، اذ ان عملى يضطرنى الى السفر كثيرا . فعلى سبيل المثال ، كانت المرة الاولى التى سمعت فيها عنك منذ خمس ســـنوات ، وبرغم ذلك لم نلتق اطلاقا . وهـــو أمر يبعث على الاسف الشديد ، ذلك لأنك بالغة الفتنة !

وختم عبارته الاخيرة بهزة طفيفة من راسه ، ثم استطرد قائلا بسرعة : « ان زوجك – أيضا – مليح الوجه جدا .. ولابد ان ابناءكما يتمتعون بقدر كبير من الجمال » .

– لم ارزق أى ابناء !

– لكنك سترزقين .. وسيكونون مفرطى الجمال .

فقاطعته جوزيه : **« ان زوجى لا يريد أطفالا ! »** . وخيمت عليهما لحظة صمت ، وقد أسفت لجوابها ، وللثقة الزائدة عن الحد التى كانت لهجته توحى بها . وما لبث أن قال بصرامة: **« انه يخشى أن تفضليهم عليه ! »** .

– ما الذى يدعوك الى هذا القول ؟

– انه أمر واضح جدا .. فهو لا ينظر الى احد سواك .. تماما كما ان زوجتى لا تنظر الى سواه .. وتماما كما تنظرين انت الى الفضاء !

فقالت جوزيه بجفاء : « ياله من ثلاثى بديع ! »

ــ بل انه رباعى جميل ، اذا اعتبرت اننى لا أنظر الا الى الاسعار واسهم البورصة ! »

وحملق كل منهما فى وجه الآخر ، ولم يملكا ان يكتمـــا الضحك . وسألته جوزيه : « أولا تتحـــول عن اهتمامك هذا ؟ » ، فقال : « لقد بلغت العمر السعيد الذى لا يهتم فيه المرء الا بالناس الذين يخدمون لديه غـرضـا . ولست أزعم ان هذا لا يجعلك تتألمين ، ولكنى أقصد بما قلت الناس الذين يحترمون نزاهتك .. سترين !.. سيقع لك ذلك يوما ما ، لا محالة .. يجب ان تغفرى لى ، فان كأسى فارغ ! »

ونهض واقفا ، وتبعته جوزيه الى غرفة الاســـتقبال . لكنهما توقفا عند العتبة ، فقد وقـع بصرهما على « الان » جالسا عند قدمى لورا ، التى كانت تطل عليه بنظرات تفيض رقة وحنانا وشوقا ، مما جعل جوزيه تـرتد الى الخلف . ورفع ألان عينيه ، وغمز لها غمزة العـالم ببواطن الامور ، فاندفع الدم الى وجنتيهاخجلا .. ولبرهة قصيرة ، خشيت ان يكون « دور » قد لمح الغمزة ، لكنه كان يجتاز الغرفة فى طريقه الى (البار) .. ولم تكن راغبة ــ على اية حال ــ فى ان تتورط فى أحابيل ألان والاعيبه الصغيرة .

وقالت له ذلك حالما صعدا الى غرفتهما ليناما . فأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، شارحا لها ــ فى قسوة بالغة ــ الاشكال التى اتخذها اهتمام لـــورا به ، فقالت : « لست أحفل بهذا النوع الذى يروق لك من السخرية ، فليس ينبغى

للناس ان يتعرضوا لسخرية كهذه ، مهما يكونوا ! »

وكف ألان عن السير فى ارجاء الغرفة ، ثم قال : **« لم يكن هذا رأيك دائما ، لقد كنت تحضرين الى هنا كثيرا ، فى الايام الماضية ! »**

ـ أحيانا .

ـ مع من ؟

ـ مع بعض الاصدقاء .

ـ مع صديق معين ، أم مع أصدقاء عديدين ؟

ـ قلت مع بعض الاصدقاء .

ـ انك لم تحدثينى اطلاقا عن هذا المنزل ، مع انك رويت لى قصصا عن شاطىء البحر ، والجبال ، والمدينة ... ولكن، ما من كلمة عن الريف . **لماذا ؟**

ودفنت رأسها فى الوسادة . لــكنها ما لبثت أن رفعت رأسها فى حذر ، واذا بألان يحملق فيها متفحصا . ثم قال : « لا تهتمى . سأكتشف الحقيقة » . فتساءلت : **«من لورا ؟»**

ـ من تظنيننى ؟ منك أنت ياجميلتى ، وفى القريب العاجل .

وثبت أن قوله كان يطابق الحقيقة أكثر مما تصور هو !

***

وعندما سبقت جوزيه زوجها فى الهبوط لتناول افطارها ، رحبت لورا بهــا فى صوت مرتفع وحرارة ، ثم راحت تكيل المديح لألان ، حتى رفعته الى عنان السماء .

ـ ان أفتن مافى هؤلاء الامريكيين الشبان ، هو انك تحسبين كانهم ولدوا فى اللحظة التى التقيت فيها بهم . الم يكن ذلك

انطباعك عندما التقيت بألان ؟.. ألم تشعرى بأنه لم يكن له ماض .. لم تكن فى حياته نساء قبلك ؟

فأجابت جوزيه والنعاس يداعب أجفانها : «ليس تماما !». فاستطردت لورا دون ان تبدى اكتراثا بقولها : « ان عيبهم الوحيد هو انهم يعتقدون ان بقية العالم على شاكلتهم . بينما نحن الاوربيين .. »

ولم تصغ جوزيه لحرف واحد مما قالته لورا بعد ذلك .. وانما رفعت عينيها لحظة ، ثم مدت يدها لتتناول شريحة من الخبز المحمص ..

وبعد نزهة على الاقدام — استغرقت معظم فترة الصباح ، ولم تطلق فيها لورا سراح ذراع « ألان » ثانية واحـــدة ، جاذبة اياه ليسبقا بمسافة طويلة باقى الضـيوف ، الذين استعذبوا الهواء المنعش — تذكرت جوزيه كلمات مضيفتها ، وراحت تسائل نفسها عما كانت ترمى اليـه .. واذ كانت الشمس مشرقة ، فقد جلسوا جميعا على مقاعد صـغيرة امام المنزل ، يحتسون عصير الفاكهة . وكانت كلمات « جان بيير دور » — زوج لورا — تراود خيالها ، وتلح على ذاكرتهـا عندما نهضت لورا فى نزوة أكيدة ، مليئة بالانفعال ، وقالت : « سأنتزع « ألان » بعيدا عنك . أريده أن يرى « صندلتنا » العجيبة (غرفة المخزن العلوية) ، قبل الفداء » .. وابتسمت — وهى تقول ذلك — لجوزيه ، ثم قالت : **لست أقترح أن تأتى معنا يا جوزيه .. فانا أعتقد أن الغرفة مألوفة لك ! »** .

وحاولت جوزيه ان تتخلص من الموقف بحركة من كتفيها .. فقد كانت تلوذ بتلك الصندلة - منذ خمس سنوات - عندما فاجأتها لورا مع « مارك » فى وضع فاضح !..
كانت تلك « الصندلة » العجيبة مثار فكاهة الجميع . واذن ، فقد تصورت لورا ان بوسعها ان ترهب جوزيه بتلك الذكرى ، أليس كذلك ؟.. وبلغ غضب جوزيه حدا جعل وجهها يمتقع .. وقطع الرسام الشاب صمته ليقدم اليها كأسا من شراب « البورت » ، لكنها سرعان ما تمالكت نفسها فسألت لورا بهدوء : **« أتعنين « الصندلة » التى رقدت فيها مع مارك ؟ »** .. وخيم على المكان صمت رهيب . وما لبثت جوزيه ان استدارت نحو الان قائلة : « لا أعلم ما اذا كنت قد أفضيت اليك بتلك القصة .. انه شخص يدعى « مارك » ، كنت على علاقة به فى العشرين من عمرى . وتستطيع لورا ان تزودك بالتفصيلات ! »

واذذاك ، انفجرت امرأة شابة تضحك ، فلقد كان من المستحيل عليها التعليق بشىء آخر على مثل هذا القول .. وأعقبها الرسام الشاب قائلا فى مرح : « ومن الذى لم ينطلق على هواه فى هذا المنزل ؟.. انه منزل من تقاليده الحفاوة والترحيب » . فقاطعته لورا وهى تتميز غيظا : « ان تعبيرك يبدو غير لائق .. وأشكر الله على اننى لا أعلم شيئا عن تفصيلات مغامرات جوزيه الغرامية » . بيد ان «الان» اقترب من جوزيه ، وانحنى ليقبل شعرها ، وهو يقول : « ان مغامرات زوجتى الماضية لهى من شؤونها الخاصة ! »

وكانت قد تمثلت لجوزيه ، فجأة ، جميع الاسـئلة ، وفورات الغضب ، التى لابد ان يثيرها تصريحها العجيب ، فأغمضت عينيها وقد أحست بالاجهاد ، والعناء .. وابتسم ألان لها ، وقد بدا عليه السرور ، مما يقطع اما بانه مجنون ، أو مضطرب الاعصاب !.. لقد كان عليها ان تهجره قبل ان يحدث شيء فظيع .. قبـل ان ينقضى الوقت المناسب لذلك . غير انها لم تستطع ان تتحرك من مقعدها .. تماما مثلما يحدث فى السينما حين يتعذر عليك أن تنصرف قبـل انتهاء الرواية !

واصبح مارك موضوع حديثهما الوحيد خلال الشهرين التاليين .. كيف تعرفت به ؟.. وماذا أعجبها فيه ؟.. كم من الوقت استمرت علاقتهما ؟.. وفشلت ، فشلا ذريعا ، كل جهود جوزيه فى سبيل التهوين من أمر هـذه العلاقة ، وتحويلها الى مجرد حادث لا قيمة له .. بل ان استخفافها بالامر كان يذكى خياله ، فيوحى اليه بأنه اذا كان مارك على هذه الدرجة من عدم الاهمية ، فلابد - على أية حال - من ان شيئا آخر جمع بينهما .. شيئا لم تكن تجرؤ على البوح بـه !

وبلغت العلاقات بينهما درجة كبيرة من السوء ، فصارت جوزيه تتلمس الاسباب للخروج فى المساء ، والبقاء خـارج المنزل حتى يحل التعب والاجهاد بكليهما ، لمجرد تأجيـل اللحظة التى يرتكز فيها ألان على مرفقيه ، ليقول لها : « كانت حياتك معه أفضل ! » ، **ثم ينهمر منه سيل من الاسـئلة ..**

أسئلة كانت دائما دقيقة ، وأحيانا بالغة السخف .. الامر الذى كان يثير احتقارها .. وفى ختام شهرين قضياها على هذه الحال ، صار وجهها محتقنا بتأثير الخمر ، وأحاطت بعينيها هالات سوداء .

وفجأة تمردت ، وأعلنت عصيانها ، فأمست تذهب الى فراشها قبل العاشرة ، وتعمد مع ألان الى الحركات العنيفة ، وتقابل تهديداته وتوسلاته بصمت عنيد . ووجدت نفسها — أكثر من مرة — تحقد عليه حقدا مريرا !

***

وصارت « لورا دور » تلازمهما ملازمة الظل ، وتقضى كل ليلة معهما ، غالبا فى دارها ، حيث كانت تقدم لهما وجبات عشاء فاخرة . وكان ألان يصطحبها بعد ذلك فى جولات بالمنتديات الليلية حتى الفجر .. جولات كانت تفعم نفسها بالغبطة والسرور ، وان ارهقتها من فرط التعب والاعياء ، حتى لقد لاح عليها ان السن قد تقدمت بها عشر سنوات !

وصارت تقضى الجزء الاكبر من فترة بعد الظهر معهما ، وتحدث كل من تلقاه عن سحرهما ، ومدى احساسها بالشباب فى صحبتهما .. وازداد حماسها لرسوم « ألان » .

وكانت جوزيه تهرب من المنزل بمجرد ظهور لورا ، تاركة اياها تتنقل بين غرفة الاستقبال والمرسم الذى كان ألان يسرف فى الاعتصام به ، وقد امتلأ فؤاده طربا بالوجود متفرجة تتأمله وتطرى انتاجه .. وكانت جوزيه اذا ما عادت تجدهما غائصين فى مقعدين ، يتناولان أول كؤوس (الكوكتيل) فى

ليلتهما . ولما كانت هى قد كفت عن الشراب ، فقد اصبحت تجد مشـــــقة بالغة فى تتبع حديثهما . وبدأت تلاحظ ، بنظرات عابرة ، الخطوط الجديدة التى ظهرت على وجـــه لورا ، وانتفاخ ما تحت عينيها ، والخبث الشـيطانى الذى كان يراود ألان وهو يملأ كأســـها . **فهو لم يكف بتاتا عن اغداق رعايته وحدبه عليها ـ فى رقة فاتنة ـ سائلا اياها عن ادق تفاصيل حياتها . ولم يكن يكل عن الرقص معها ساعات طويلة .. ولم تطف بخاطر جوزيه أدنى فكرة عما كان يهدف اليه !**

وذات ليلة ، عادت جوزيه لتجد برنار جالســا بين ألان ولورا .. وكان قد عاد لتوه من رحلة خارج فرنســـا .. وبرغم أنها ألقت بذراعيها حول عنقـــه ، فقـد ظل مبتئسا ، قانطا . وما ان انصرفت لورا حتى اســـتدار اليها قائلا : « ما هدفكما من هذه اللعبة ؟ » . فرفعت جوزيه حاجبيها ، وتساءلت : « اية لعبة ؟ »

ـ انت وألان . ماذا تحاولان ان تفعلا بالمسكينة لورا ؟

ـ بالنسبة لى .. لا شىء . الافضل ان تسأل « ألان » .

وابتسم ألان . بيد ان برنار لم يلتفت اليه ، بل قال لها : « انما اسألك أنت يا جوزيه . لقد كنت دائما كريمة ، فما هدفك من جعل المراة البائسة تغدو مثار سخرية الجميع .. لا تقولى انك لا تعرفين عن الامر شيئا ! »

فأجابته جوزيه فى ضيق : « لست أعرف ، فليس لي في الامر يد على اي حال » .

ـ بل لك اليد كل اليد ، اذ تتركين هذا الصغير المصاب بعقدة ((السادية)) يحطم حياتها ، ويتلفها بالشراب والآراء الغريبة !

وأطلق ألان صفيرا ، ينم عن الاعجاب ، وهتف : « الصغير المصاب بالسادية ؟.. ترى ماذا ستطلق على بعد ذلك ؟ »

ـ لماذا تترك لورا تتوهم انك مغرم بها ، أو انك أوشكت ان تغرم بها ؟.. لماذا وضعتها فى هـــذا الموقف الذى يثير السخرية ؟.. ممن تبغى أن تنتقم ، بواسطتها ؟

ـ لست أنتقم من أحد ، وانما انا أستمتع بقدر من المرح .

واجفل ألان اذ استشاط برنار غضبا . وتذكرت جوزيه ان قدرا كبيرا من اللغط كان يدور عن صلة جمعت بين برنار ولورا ، فى أيام (فو) الغابرة السعيدة .

ـ ان فكرتك عن المرح ، هى ما يتوقعه المرء من رجـــل على شـــاكلتك .. **مرح رجل يعانى قدرا كبيرا من مركب عشق الذات ((النرجسية))**.. انكما تعيشان حياة المعتوهين : انت بسبب عقدة نفسية لا يعلمها الا الله .. وجوزيه لمجرد حرمانها من نعمة الحس .. وهذا أسوأ من الاول بكثير !

وقالت جوزيه : «انك تعود دائما فى حالة نفسية لطيفة .. كيف كانت رحلتك ؟ »

ـ متى ستعقدين العزم على ترك هذا المخلوق ؟

ونهض ألان ، فصوب اليه لكمة ، ثم دارت بينهمـــا معركة بالايدى . ولما كان كل منهما يعادل الآخر فى الجهل بطـرق الصراع ، فقد راحا يتخبطان في ضرباتهمـــا .. وبرغم ذلك ،

بلغ العراك من الحدة أن راح أنف ألان ينزف دما ، اذ ارتطم بمرفق برنار . وانقلبت المائدة التى رصت عليهـا زجاجات الخمر ، وانساب « الجين » فوق البساط ، فاضطرت جوزيه الى الصراخ ليتوقفا .. ووقف كل منهما يرمق الآخر بنظراته — مثل أبلهين — وقد تناثر شعرهما وتهدلت ثيابهما .. وأخرج الان منديلا ، ليمسح الدم عن أنفه .

وقالت جوزيه : « لنجلس . فيمـا كنا نتحدث » ؟ ،

فأجاب برنار : « يجب أن تغفـرى لى يا جوزيه . فان لورا صديقة قديمة ، برغم أنها تثير أعصابى ، وقد غمرت الكثيرين بأفضالها . **غير انه لم يخطر بذهنى اطلاقا أن أضطر يومـا للدفاع عن « شرفها » ! »**

وقال ألان : « اننى أنزف دما ، كالخنزير .. **لو كنت أعلم انه ينبغى على أن أقاتل كل عشاق جوزيه ، لتلقيت دروسـا خاصة لدى « مشاة الاسطول » ، قبل أن أتزوجهـا ! »** ..

وراح يضحك ، ثم استطرد : «هل عرفت يابرنار يوما شخصا يدعى « مارك » ، (ولست أدرى لقبه) ؟ » .. فأجاب برنار فى جزم : « كلا . لقد وجهت الى هذا السؤال من قبل .. وليس لهذا شأن بلورا » .

— لست أضمر للورا شرا ، وليست لدى مطامع فى ثروتها أو « عفافها » . انها فنانة ، وحسب .. وكل ما بيننا انهـا ستمول معرضى الفنى .

وسألته جوزيه : « معرضك ؟ »

— بالتأكيد . انها أحضرت بالامس ناقدا فنيا الى هنا ، اذ

يبدو ان رسومى رائعة ، وسأعرضها على الجمهور فى خلال شهر .. وأرجو أن أثبت اننى لست رجلا « طفيليا » ، يعيش على هامش الحياة ، كما يدعى أصدقائى !

ـ وما اسم هذا الناقد ؟

ـ أعتقد انه يدعى « دومييه » .

فقال برنار : « انه ناقد عظيم .. تهانئى .. أرجو أن لا تكون غاضبا منى » .. غير انه ظل بعد ذلك باردا ، لم تفارقه الحيرة . ورافقته جوزيه الى الباب وهى تقول : « ما رأيك فى هذا ؟ » . فأجابها فى غضب : « ان رأيى لم يتغير . انه لن يتيح لك دقيقة من الراحة والسلام ، ولو أصبح رئيسا للوزراء ، فما بالك وهو مجرد رسام ؟ لقد ارتكبت خطأ فادحا بمساعدته فى العثور عليك ! »

ـ لماذا تقول هذا ؟.. أبسبب لورا ؟

ـ نعم . فضلا عن عدة أمور أخرى . لقد كنت أنظر اليه نظرتى الى رجل مخبول بعض الشىء ، ولكنه لطيف .. أما الآن فقد بت أعتقد انه ليس لطيفا على الاطلاق ، وانه مجنون تماما !

ـ ألست تبالغ فى الامر ؟

وكانا يقفان فى الردهة ، والظلام يكتنفهما . وقبض برنار على ساعدها ، ثم قال **« لسوف يهدمك .. لاتخدعى نفسك، بل اهربى وفى الوقت متسع .. ان .. »** . وحاولت أن تعترض ، لكنه كان فى طريقه الى الخارج .. فعادت الى غرفة الاستقبال ، وهى تمعن التفكير . واقترب ألان منها ، ثم

احتضنها بين ذراعيه ، قائلا : « يا لها من مشكلة .. ان أنفى يؤلمنى ألما فظيعا . أمسرورة أنت بمعرضى ؟ »

***

وأنفقت الليلة فى وضع كمادات على أنفـــه ، وفى رسم مشروعات بهيجة للمستقبل . وكان أشبه بطفل لا حيلة له . وكأنه قد اتجه للرسم لمجرد ارضائها ، واستغرق فى النــوم بين ذراعيها ، فلبثت وقتا طويلا تتأمله فى شغف .

واستيقظت من نومها – خلال الليل – وقد غرقت فى بحر من العرق .. كانت عبارات برنار قد أصابت مرماهـــا ، **فتراءت لها « لورا » – فى الاحلام – ملقاة فوق مروج (فو) ، وقد تشوه وجهها . وبرغم أن جوزيه انطلقت صـــارخة ، تطلب النجدة ، فان الناس مروا بهما دون أن يبصروا شيئا ، وراحت تركض من مكان الى آخر ، مشيرة الى لورا . لكن الضيق كان يبدو على كل من تستنجد بهم ، ويقولون : « ليس بها ثمة شىء ! »**

وكان الان نائما فى مقعـده مبتسما ، فغـــادرت جوزيه فراشها ، وسارت متعثرة الى الحمـــام ، فشربت قدحين كبيرين من الماء ، وقد شعرت بأنها لا تمـل الاحساس بذلك السائل النقى ، المثلج ، وهو ينساب فى حلقها . وأطلق « ألان » أنة خافتة ، فنظرت اليه ، واذا به يبدو – خلال شعاع الضوء المنبعث من الحمام – مستلقيا فى مقعده ، وقد تورم أنفـــه فشوه منظر وجهه المليح .. **وبدا أشبه برجل ميت !.. وكانت الساعة الخامسة صباحا ، ولم تعد تحس بأية رغبة فى النوم ،**

فالتقطت وشاحا ، وغادرت الغرفة على أطراف أصابعها ..

وفى غرفة الاستقبال ، استطاعت أن تتبين أول أشعة الفجر الباهتة ، التى بثت فيها احساسا ببعض الاطمئنان ، وبعض الفزع فى آن واحد !.. وجرت أحد المقاعد الى قرب النافــذة وجلست عليه .. كانت الشوارع خالية من المارة ، والنسيم عليلا ، منعشا . وفجأة ، عادت الى ذاكرتها رحلة العودة من نيويورك . لقد رحلت عند الظهر (بوقت نيويورك) ، فوصلت الى باريس فى منتصف الليل (حسب توقيت باريس) ، بعد ست ساعات فقط !.. وفى خلال نصف ساعة فقط من قيام الطائرة ، شاهدت شمس الظهيرة المتوهجة ـ بدرجة تعشى البصر ـ وقد انحدرت للمغيب .. احتقنت أولا ثم اختفت ، بينما كانت ظلال المساء ـ عند القطب الشمالى ـ تلوح وكأنها تشن هجوما على الطائرة ، وقد اصطفت ـ عند النوافــذ اليسرى ـ فى صفوف زرقاء وبنفسجية ، ثم انسابت كغيوم سوداء فى ثنايا الليل .

واذذاك ، هفت نفس جوزيه الى السباحة فى بحر الغيوم .. فى ذلك المزيج من الهواء والريح والماء ، الذى تصورته لينا ، ناعم الملمس فوق بشرتها ، ذا غموض يضارع غمـوض أحلام طفولتها ..

وتمنت جوزيه أن تكون وحيدة ، مستلقية بمفردها فوق رمال الشاطىء ، تاركة الزمن يمر بها ، كما كانت تشعر به يمر الآن ، هنا فى هذه الغرفة الخالية ، التى كان الفجر يتردد فى اقتحامها .. تمنت أن تفر من الحياة ـ مما أطلق عليـــه

الناس « حياة » ـ ان تفر من أحاسيسها .. من جميع الكون !

وما لبثت جوزيه أن تمطت ، وشدت مفاصل ذراعيها ، ثم وقفت ساكنة . ترى كم من المرات مارس « ألان » أو « برنار » أو « لورا » هذا الاحساس الغامض الذى لا سبيل إلى وصفه ؟.. كم من المرات حاولوا أن يعبروا عنه بالكلمات التى كانت كفيلة بأن تشوهه فى الحال ؟.. يا لتلك المجموعات الهشة من العظام والدم والمادة السمراء التى تختطف اللذات التافهة والاحزان الضئيلة ، كل منها من الآخر ، قبل أن يختفوا جميعا !!

وابتسمت . فقد كانت تدرك جيدا ان من العبث أن تواجه مشاكل حياتهم ، بنظرة ناضجة عاقلة .. والفجر قد أوشك على الانبثاق ، ممهدا الطريق لنهار طويل ، يتطلب قدرا كبيرا من الكلمات والافعال ..

***

ـ تقبل تهانئى يا مستر أش .. ان ثمة شيئا جديدا فى رسومك .. شيئا ما !

وأدار الغريب ذراعه فى الفضاء ، على شكل دائرة واسعة ، منقبا فى ذاكرته عن كلمة مناسبة . وأخيرا عثر عليها ، فأردف قائلا : « علم .. تماما . « علم » حديث « فى الفن » ، على درجة كبيرة من التأثير » .

وابتسم ألان ثم انحنى . وبدا عليه التأثر لفوز معرضه بهذا النجاح العظيم .. النجاح الذى كان الفضل فيه يعود

الى حذق « لورا » فى التنظيم ، والى الدعاية الصارخة التى بذلت . فقد أطنبت الصحف فى الحديث عن قوة اللوحات ، وعمقها ، وابداعها . **وأخذت النساء ينظرن الى ألان فى اعجاب . ودهش الناس اذ لم يسمعوا من قبل عن الامريكى الشاب الذى نزح الى باريس ، بحثا عن الالهام . وسرت شائعة – فى همس – بانه وصل على ظهر باخرة شحن ، كعامل من عمال تكسير الفحم !..** وكان كل هذا خليقا بأن يكون عاملا من عوامل التسلية لجوزيه ، لو لم يكن ألان قد بدا نكدا خلال الاسابيع الثلاثة التى سبقت المعرض . فقد قضيا تلك الاسابيع دون أن يغادرا مسكنهما مرة واحدة ، ودون أن يكف ألان عن الانين فى خوف ، وعن النهوض فى الليل ليلقى نظرة على لوحاته ، موقظا جوزيه معه ، ليروح يحدثها عن فرش الرسم ، وكأن حياته كانت تتوقف عليها !.. وكان فى تنقيبه فى أغوار نفسه ، ومصارعته لضميره ، يبعث فى قلب جوزيه الفزع ، مرغما اياها على البقاء الى جواره دائما ، كأم ، أو عشيقة ، أو ناقدة !.. **لكنها برغم ذلك أحست بالسعادة ، فقد أصبح مهتما بشىء آخر غير نفسه ، وأصبح حديثه عن عمله يفيض احتراما وعاطفة .. لقد خلق شيئا ، فصارت حياتهما – فجأة – محتملة مرة أخرى !..** حياة كان هو فيها بحاجة الى جوزيه بالطبع ، ولكنها حاجة الرجل الذى أصبح لديه شىء آخر يشغله .. ومن ثم راحت جوزيه تراقب – فى اهتمام – « لورا دور » وهى تلعب دور التابع له ، مما جعله يقف منتصب القامة – معنويا – وجعل نفسيته ترقى ، فصار

يتحدث فى شىء من التعالى . غير أن جوزيه كانت تفضل الحديث عن « فان دايك » على مناقشة موضوع « مارك » . وقد همست بذلك فى اذن سيفران ، عندما تقدم نحوها ، مرتديا حلة تشبه مسوح الرهبان ، فأجابها بقوله : « بوسعى أن أفهم احساسه . لقد كدت أفقد أعصابى من كثرة الاسئلة التى وجهها الى . أتعلمين ان جميع اللوحات قد بيعت تقريبا ؟ »

ــ نعم . ما رأيك فى الامر ؟

ــ رائع . رائع . انه يجعلنى أفكر فى . .

ــ لا تجهد نفسك . اننى واثقة من انك لا تعلم عنه شيئا !

ــ لقد أصبت تماما . هل سنتناول العشاء مع لورا بعد ذلك ؟ . . **انظرى اليها . . يكاد المرء يخال انها هى التى قامت برسم جميع اللوحات !**

فأجابت جوزيه وقد غمرتها مشاعر طيبة نحو لورا : « انها مغتبطة . الحق انها قد ساعدته كثيرا » فأردف سيفران : « هذا ما يقوله الجميع ، ولسوف تتعرض لكثير من التعليقات الحاقدة ! » . **فهزت جوزيه كتفيها ، وقالت : « اننى أتمنى أن ألعب مثل هذا الدور ! »**

ــ ما دام الناس يتركونك فى سلام ، أليس كذلك ؟

وانفجر الاثنان ضاحكين ، والتفت « ألان » نحوهما عابسا ، لكنه لم يكد يلمح سيفران ، حتى ابتسم ، وقال : « كرم منك ان حضرت . . ما رأيك فى المعرض ؟ »

ـ مدهش !

فقال ألان فى ضحكة تنم عن رضائه عن نفسه : « يبدو ان هذا رأى الجميع » . ثم استدار نحو معجب جديد .. بينما تضرج وجه جوزيه وقالت :

ـ انه يوشك أن يعتقد انه « بيكاسو » !

ـ هذا أفضل من أن يعتقد انه « عطيل » ، يا جميلتى !

وجذبها معه فغادرا قاعة العرض ، وجلسا على رصيف احدى المقاهى . كان الهواء عليلا ، والشمس تغرب خلف صرح (الانفاليد) ، فراح سيفران يثرثر ، وجوزيه تستمع اليه بذهن شارد ، وقد تذكرت وجه « ألان » العابس ، قبل عشرة أيام فقط ، عندما سألها عن لوحاته بقوله : « أتعتقدين انها جيدة ؟ .. أتظنينها ذات قيمة ؟.. حدثينى برأيك الصريح ! » .. ثم تعبير وجهه منذ دقائق قليلة ، اذ قال : « يبدو ان هذا رأى الجميع ! » . كان التحول من التعبير الاول الى الثانى مفاجئا بعض الشىء ، فقد كان « ألان » ذكيا ، بعيدا كل البعد عن أن يكون مغرورا .

ـ انك لا تصغين الى ، ألست كذلك ؟

وأجابت : « بلى يا سيفران » ، فضرب المائدة بقبضته ، وقال : « كلا . لست مصغية الى أحد ، وتبدين دائما متوجسة كأنك تخشين خطرا . انكما أشبه بشبحين ، وأحسبك تدركين هذا !»

وتحولت اليه وقد أدهشتها لهجته الجدية ، وقالت فى غضب : « انك تتحدث مثل برنار تماما . **ألست تبدى اهتماما**

أكثر مما ينبغي بشؤون حياتنا الخاصة ؟ »

ـ كان ينبغي أن يهتم برنار بشؤونه وحدها ، وكذلك أنا . لكنه مشغوف بك ، مثلى تماما !

فأمسكت جوزيه بيده ، بدافع غريزى ، بينما استطرد هو : اننى فى موقف لا أدرى معه أين أنا . أخبرنى يا سيفران ، أى ذنب ـ فى رأيك ـ ارتكبت ؟ »

ولم يسألها تفسيرا ، بل هز رأسه وقال : « ان المشكلة ليست مشكلة ذنب ارتكبته ، كما تتصورين . فهذا الامر لا يكون قط نتيجة ذنب من أحد . ولكن ، اذا كنت تعنين انه كان يتعين عليك مثلا تصحيح كل شىء ، فلست أعتقد ذلك . لقد أوشك « ألان » فى بادىء الامر أن يخدعنى ، بأسلوبه الماكر . فلوانه لم يقد لورا الى هذه الحال لـ .. » . وقاطعته جوزيه متسائلة : « أية حال ؟ »

ـ ان يجعلها تعشقه عشقا جنونيا .. فهو يقابلها كل يوم ، ويبهرها ، دون أن يمسها اطلاقا !.. يا لله !.. انها تعيش الآن على الحبوب المنومة والمسكنات . لقد أراد زوجها « دور » ان يصحبها معه الى مصر ، لكن زوجك أبدى لها يأسه ، قائلا لها : « وماذا أصنع بدونك ؟.. وما مصير معرضى ؟ » .. فلم تذهب .

ـ ليس لى علم بذلك !

ـ انك لا تعلمين شيئا . انت تخشين أن تتورطى فى أمور معينة ، فتجلسين شاردة الذهن فى أمور أخرى .. بم تحلمين ؟

ـ بشاطىء مهجور !

ـ هذا دأبك دائما .. ما ان يتولاك الملل من هوى ، أو تحسين أنك ارتكبت ذنبا ، حتى تستغرقى فى الاحلام بالشواطىء المهجورة !

وراق له ان يراها تتلفت حولها بحركة غريزية ، فقال : « لا تقلقى .. انه ليس هنا » .. واذذاك قالت : **« انه ليس مجرد هوى يا سيفران . انه زوجى الذى يعشقنى ، وأنا أبادله هذا الغرام ! »**

ـ والآن ، لا تتحدثى كمن يلقى موعظة . لقد قدر لك أن تتزوجى هذا الرجل ، ولم تتزوجى الآخرين . فما أهمية الامر ؟.. لا تهربى . اننى أعشقك عندما تثورين غضبا !

***

وانطلقت هاربة ، فسار سيفران خلفها . وسبقته جوزيه بمسافة ، وهى تكرر فى غمغمة مستمرة : « لست كذلك . لست كذلك ! » .. حتى لحق بها أخيرا ، وسمع ما كانت تتفوه به ، فقال : « بالطبع ، انت لست كذلك . لقد خلقت لحياة مرحة سعيدة ، ولكى تعشقى رجلا لا يتعلق برقبتك طوال الوقت . أغاضبة انت منى يا جوزيه ؟ »

وما أن وصلا الى قاعة معرض اللوحات حتى استدارت اليه ، قائلة فى اقتضاب : «كلا» .. **وامتلأت عيناها بالدموع . فوقف سيفران أمام الباب ، فاغر الفم ، بينما شقت جوزيه طريقها بين الجموع ـ وقد عضت على شفتيها لتمنع دموعها من الانهمار ـ باحثة عن آلان .. وفى أعماقها كان قلبها يهتف :**

((ألان ، يا من تحبنى حبا عارما .. انت يا مجنون ، يا من تختلف عن الآخرين . قل لى يا ألان انهم مخطئون ، وانهم لا يفقهون شيئا عن علاقتنا ، وانها ستدوم الى الابد !)) ..

وكادت تصطدم به وهو يصافح آخر المدعوين. فسألها : «أين كنت ؟ » . وأجابت : « خرجت مع سيفران ، لأتناول قدحا من البيرة . كان الجو خانقا هنا ! »

– مع سيفران ؟ هذا مضحك . لقد رأيته منذ خمس دقائق .

– مستحيل !.. أرجوك ، لا تبدأ من جديد !

ونظر اليها ، ثم انفجر ضاحكا ، وقال : « أصبت .. هذا يوم عظيم ، فلننس نوباتنا العصبية التافهة. أفسحى الطريق للرسم ! افسحى الطريق للعبقرية ! »

وكانت قد غدت على انفراد معه ، والقاعة خالية . وأشارت اليهما لورا من سيارتها ، فتأبط ألان ذراع زوجته ، ووقف بها أمام احدى لوحاته ، وقال : « أترين هذه ؟ .. انها شيء تافه ، عديم القيمة . انها ليست رسما ، بل مجرد أوهام صغيرة نقلت بالالوان .. وأؤكد لك ان النقاد الاذكياء لم ينخدعوا بها . انه رسم ردىء ! »

– ما الذى يدعوك الى هذا القول ؟

– انها الحقيقة ، وقد عرفتها طوال الوقت . ماذا تظنين؟ أتحسبينى خدعت بالأوهام التى أوحيت بها الى نفسى ؟.. ألا تعرفيننى أكثر من ذلك ؟

– وماذا كان هدفك ؟

وكانت فى ذعر قاتل ، بينما مضى هو يقول : « مجرد تسلية نفسى ، ولكى أشغلك دائما يا حبيبتى . ومع ذلك ، فكم أنا آسف لأن المديح لم يكن حقيقيا .. **لقد كنت رائعة كزوجة رسام ، ولا سيما فى الاسابيع القلائل الاخيرة . كنت تمدينني بالثقة فى نفسى ، لا بالاسراف فى التحمس لعملى ..** كلا ، بل كنت بارعة فى اخفاء مشاعرك ، فقد كان الرسم كفيلا بأن يشغل وقتى ، وهو الغرض الرئيسى ، أليس كذلك ؟! »

واستعادت جوزيه هدوء أعصابها ، فنظرت اليه باهتمام ، وسألته : « لماذا تقول لى كل ذلك ؟ » . فقال : **« لست راغبا فى أن أقضى بقية حياتى ألوث قطعا من القماش برسوم من وحى الاوهام »** .. ثم استطرد قائلا برقة : **« ثم اننى لست راغبا فى أن أكذب عليك ! »** .. فوقفت أمامه ساكنة ، لاتحير حراكا ، وقد انتابتها أطياف من ذكريات مشوشة عن ليالى الارق التى تسبب فى أن تقضيها مسهدة ، ونوبات الرعب والالحاح التى كانت تنتابه . وما لبثت أن ضحكت فى جفاء :

ـ لقد بالغت فى أداء دورك قليلا . هيا ، فان سيدتك تنتظرك !

وكان وجه لورا متوردا لفرط انفعالها وسعادتها ، وقد استقرت بينهما فى السيارة ، ولم تكف لحظة عن الكلام . ومن وقت لآخر ، كانت يدها تحوم حول يد الان فى فرح وانشراح ، فكان ألان يستجيب لحركتها فى غبطة لا تقل عن غبطتها . وعندما سمعت جوزيه ضحكاتهما ، ولمحت حركة يد لورا المرتجفة ، تمنت الموت !

***

وكان مسكن لورا فى شارع (لونشان) فسيحا مقبضا ، يزدحم بالتحف المتراصة ، حتى ان الضيوف - فى بداية أى حفلة - لم يكونوا يجدون مكانا يضعون فيه كؤوسهم ! .. واندفعت جوزيه الى داخل المسكن ، وأغلقت خلفها بـاب الحمام ، حيث أصلحت بعناية ما أتلفته من زينتها الدمـوع المحرقة التى انسابت - منذ ساعة - من عينيها المحتقنتين . واذ راحت تحملق فى وجهها ، خيل اليها أن مظهرها المحموم، المضنى ، كان مقبولا ، فأطالت نقوش جفنيهـا ، واستدارة وجهها على شكل بيضاوى ، وأبرزت شكل شفتها السفلى . ولم تلبث أن انتهى بها الامر الى الابتسام ، اذ شاهدت أمامها ملامح امرأة خطيرة ، أكبر منها سنا .. امرأة بدا مظهرهـا غريبا عنها أكثر مما أرادت .. وتولدت فيها رغبة عارمة فى أن تحطم ، وأن تبهر أنظار الآخرين ، وهو ما لم تحس به منذ غادرت (كى لارجو) !.. فغمغمت لنفسهـا : ((انهم يثيرون أعصابى .. الحق انهم بدأوا فى اثارة أعصـابى فعلا !)) .. (وكانت تعنى بكلمة ((هم)) جموع الضيوف المنـافقين ، الذين احتشدوا هناك بلا نظام) . وخرجت من الحمام بروح معنوية عالية ، أو بالاحرى منفعلة بغضب رفيق لم تعد قادرة على كظمه . وفى غرفة الاستقبال لمحت لورا والان مستندين الى جدار ، وقد اندمجا فى حديث مرح .

وبعـد قليل ، وصل الى الحفـلة قليلون ممن ضـلوا طريقهم الى المعرض ، فتعمدت جوزيه تجاهلهم .. وتناولت

من احدى الصحاف كأسا من « الويسكى » غير الممزوج بالماء، فهتف ألان بها : « ظننتك لم تشربى شيئا سوى الماء ، خلال الشهرين الماضيين !» . فأجابته : « اننى ظمآنة ! » ثم رمقته بابتسامة أثارت عجبه . ورفعت كأسها قائلة : « اننى أشرب نخب نجاحك .. ونخب نجاح لورا أيضا ، فبفضلها سار كل شىء على ما يرام ! »

وردت لورا ابتسامتها شاردة الذهن ، ثم أخذت تجذب ذراع ألان ، فغمزت جوزيه بعينها ثم أولته ظهرها . وراحت تجوس بنظراتها فى أرجاء غرفة الاستقبال ، باحثة عن ضحية .. **كان أى رجل وسيم ، يتصف بالوداعة ، يصلح لها ، مادام يوليها اهتمامه** .. واذ كانت الغرفة خالية تقريبا ، لم تجد جوزيه أفضل من الجلوس الى جوار « اليزابيث ج » ، التى كانت تترقب حضور عشيقها « انريكو » ، وقد ازداد شحوب وجهها عن ذى قبل . لقد عاودت محاولة الانتحار ، منذ عشرة أيام ، فازدان رسغها بضمادة رمادية اللون !

وسألتها جوزيه : « كيف حالك ؟ » ، ثم ابتلعت جرعة من « الويسكى » ، فشعرت بمذاقه يثير اشمئزازها !

ـ اننى أحسن حالا .. أشكرك ! (وكانت محاولات اليزابيث الانتحار ، مثار حديث الناس ، تماما كنوبات البرد التى أصابت غيرها !) .. لست أدرى ماذا حدث «لأنريكو». كان يجب أن يكون هنا . اننى سعيدة بنجاح الان ..

ـ أشكرك ..

فأجابتها جوزيه : « أشكرك ! » .. وراحت تغمر اليزابيث

بنظرات حانية ، مليئة بالعاطفة ، كفيلة بأن تذيب قلب نمر كاسر .. فأجابت اليزابيث بنظرة تفيض ودا ، وترددت برهة قبل أن تقول : « لو أن « انريكو » حاز نصف هذا النجاح ، لقنع بحاله ، ولتسنى بذلك انقاذه . فهو – كما تعلمين – قد خاصم بقية العالم ! »

أفضت اليها بهذا ، وكأنها تتحدث عن خصام نشب بين خادمتين . فأطرقت جوزيه برأسها فى رزانة ، وقد أحست بسعادة غامرة .. ترى ما سببها ؟.. « **لأننى أصبحت أخيرا أعيش ، وأقوم بدور تمثيلى ، أمام نفسى فقط .. ولم أعد أولى رضاء ذلك الدجال الصغير او استياءه اهتماما .. ذلك الدجال الصغير الذى انهمك – هناك – فى الافضاء بأكاذيبه** » .. وراحت – وقد امتلأت باغتباط وحشى – تصغى الى اليزابيث التى استرسلت قائلة : « انه لا يفتأ يقول لى : « انك أوتيت أصدقاء أوفياء ، فليتهم يمدون لى يد المعونة » .. ورغم انه على صواب ، الا اننى لا أستطيع أن ارغم لورا على مساعدته . فهو يخال ان أصدقائى غاضبون عليه لأننى أشكوه اليهم . لكننى لم اشكه قط . اننى أعرفه ، فهو موهوب للغاية ، لكن ثمة احساسا بالفشل يعذبه ، نتيجة لعمى الرأى العام .. ذلك الرأى العام الذى لا يقدر سوى الاعمال الرديئة .. لست أعنى « الان » ، بالطبع ! »

فأجابتها جوزيه فى برود : « بوسعك أن تعنيه ، فأنا – شخصيا – لا أعجب برسومه ! » .. وردت عليها اليزابيث فى ضعف ، وقد انتابتها دهشة فائقة : « انك مخطئة فى

رأيك ، فان فى رسومه شيئا ما .. » . ورسمت بساعدها المضمد دائرة فى الفضاء ، فابتسمت جوزيه ، قائلة : « شيئا جديدا ، أليس كذلك ؟ .. لعلك على صواب !.. على أية حال ، لا ينبغى أن تحاولى الانتحار مرة أخرى يا اليزابيث !»

وقالت لنفسها ، وهى تبتعد عنها : «لابد اننى ثملة.. أمن الممكن أن تسكرنى رشفتان من «الويسكى» ؟.. غير معقول !» .. وقبض شخص ما على ذراعها .. وكان هذا الشخص هو سيفران ، الذى بادرها قائلا : « أريد أن أعتذر اليك عما بدر منى منذ قليل يا جوزيه !.. هل أزعجتك ؟ ».. وكان يبدو نادما ، ويتحدث اليها فى رقة ، هامسا ، وكأنه يحاول تجنب الامعان فى جرحها . فهزت جوزيه رأسها ، وقالت : **« لقد حطمت قلبى يا سيفران ، لكنك جلوت عقلى ..** أتذكر ذلك الفيلم الذى مثلته «بيتى ديفز» ؟.. فبينما كانت تقيم حفلة فخمة فى (هوليود) ، اذ بها تسمع من يقول ان امرأة أخرى قد سلبتها عشيقها ! » .

ـ انه فيلم : (كل شىء عن حواء)

ـ نعم .. ثم التفتت بطلة الفيلم الى ضيوفها قائلة : « تماسكوا ، فان شيئا ما سينفجر » .. ولسوف ينفجر شىء ما ، يا عزيزى سيفران !

ـ من الذى سينفجر ؟ لورا ؟.. الآن ؟

ـ كلا . بل أنا !

ـ لماذا خلقت لتكونى مصاصة للدماء يا جوزيه ؟

وعندما لحق بها عند البار ، وجدها تضع ـ بعناية ـ

قطعتين مكعبتين من الثلج فى كأسها ، فسألها : « ماذا عساك فاعلة ؟ » .. وكان موزعا بين متعة مشاهدة ما يجرى ، وبين الخوف .. فان « استيقاظ » جوزيه ــ كما كان يطلق على الحالات التى تنتابها ــ كان نذيرا بكارثة ، فى الغالب !

ــ سأستمتع بوقتى ياعزيزى سيفران. لقد سئمت القيام بدور الممرضة ، والفتى والكشاف ، والخاطئة ، فى آن واحد .. سأستمتع بوقتى هنا ، فى هذا المكان .. ولن يكون هذا بالغ السهولة . اننى أشعر بالقوة ، حتى ان رسغى يؤلمانى لفرط التحفز !

ــ يجب أن تكونى حريصة . لا تنفعلى هكذا ..

لكنه لم يتم جملته . فقد لمح ــ فى تلك اللحظة ــ رجلا يدخل القاعة ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تفيض رقة ولطفا . والتفتت جوزيه اذ لاحظت التعبير الذى لاح على وجه سيفران ، وهو يقول : « هذه ولا بد احدى حيل لورا !» .. فقالت جوزيه فى هدوء ، وهى تسعى الى القادم : « انه « مارك » العزيز !

***

لم يكن قد ألم بمارك أى تغير .. فقد احتفظ بعين القسمات المنتظمة ، أكثر مما ينبغى ، والطباع السلسة ، والروح الاجتماعية المرحة باستمرار . وحين رأى جوزيه تظاهر بالذعر .. ثم احتضنها بين ذراعيه .

ــ ألا تزالين راغبة فى تحطيم حياتى ؟.. هالو ، سيفران !

فأجابه الاخير فى اكتئاب : « من اين ظهرت ؟ »

ـ من سيلان . لقد قضيت هناك شهرا ونصف ، فى مهمة صحفية خاصة ، وقبل ذلك قضيت شهرين فى نيويورك ، وستة أسابيع فى لندن . والآن ، من ترانى أقابل بمجرد عودتى ؟.. جوزيه !.. فليبارك الله العجوز لورا ، اذ دعتنى .. ماذا كنت تفعلين خلال العامين الاخيرين ، ياحبيبتى ؟

ـ لقد تزوجت . فاذا كنت لم تعرف ، فان هذه الحفلة قد اقيمت احتفالا باستقبال زوجى فى عالم الرسامين !

ـ تزوجت ؟ يالك من مجنونة !.. والآن ، دعينى أرى ما اذا كنت مصيبا ..

وأخرج بطاقة من جيبه ، ثم أردف : « ان لقبك أصبح الآن : « مسز آش » !

فهتفت : « تماما ! » .. وضحكت . انه لم يتغير البتة . ففى الايام الخالية ، اعتاد ان يقضى وقته فى القيام بدور مراسل صحفى لاذع ، يثير الحنق ، بينما كان يقضى لياليه متحدثا اليها عن المسرحيات الرائعة التى كان يعتزم تقديمها للمسرح .. فيما بعد !.. وسمعته يقول : « **مسز آش . لقد ازددت جمالا وفتنة !.. فلنتناول كأسا من الشراب معا . اهجرى الرسام وتزوجينى !** » .. وقال سيفران : « سأترككما على انفراد ، فلن تحتاجا الى فى استرجاع ذكرياتكما الماضية ! »

وقضيا الساعة التالية وكل منهما يمطر الآخر بالاسئلة : « هل تذكرين اليوم الذى ..؟ » ، أو « أخبرنى ، ماذا حدث لـ ..؟ » .. الخ . ولم يخطر لجوزيه ـ اطلاقا ـ ان تلك

الفتره من حياتهما قد خلفت كل هذا القـــدر الكبير من الذكريات ، أو انها ستذكرها بمثل هذا السرور . وفى غمرة اندماجهما فى الحديث ، نسيت جوزيه وجود « الان » ، الذى مر أمامها ، ملقيا عليها سؤاله : «هل تقضين وقتا سعيدا ؟» ، وهو يرمق مارك بنظرة مستريبة !

وسألها مارك : « أهذا زوجك ؟.. انه ليس قبيح الشكل . كما انه موهوب ! » . فأجابته جوزيه ضاحكة : « أضف الى ذلك انه بالغ الثراء » . فقال مارك : « كما انه يتمتع بك . هذا كثير جدا . وهل انت سعيدة ؟ » . وابتسمت دون ان تجيب . ولحسن الطالع لم يكن مارك من الذى يصرون على تلقى اجابات على اسئلتهم . وكانت حيـويته تدفعه الى الانزلاق من موضوع الى آخر ، ومن تصرف الى غيره ، مما جعله يغدو — تدريجا — أكثر شـــبان باريس تناقضا ، وأقربهم الى النفوس . وتذكرت جوزيه ضيقها به فى الفترة الاخيرة من ارتباطهما الذى لم يعمـــر طويلا ، فعجبت لماذا احست من رؤيته بكل هذه السعادة !

وفى تلك اللحظة واتاها صـــوت لورا تهتف : « جوزيه . تعالى هنا لحظة ! »

***

ونهضت جوزيه متجهة اليها ، وقد رسمت على شفتيها ابتسامة ، لكنها أحست بالارض تميـــد تحت قدميها ، وشاهدت لورا تمسك ألان باحدى ذراعيها ، ورجلا غريبـا بالاخرى ، وتتجه اليها بالقول : « لا أود ان انتزعك بعيدا عن

مارك ، (وهنا شحب وجه ألان) ، لكن « جـان بيرديه » مشوق الى التعرف بك ! » .. ووجدت نفسها تتبادل بعض الآراء العارضة عن الرسم مع « بيرديه » .. لكنها تخلصت منه أخيرا ، فلحق بها ألان على الفور ، يقول : **« اذن ، فهذا هو مارك ! »**

وانسابت الكلمات من فمه فى غمغمات غير واضحة ، اذ كان قد افرط فى الشراب ، وراحت أجفانه تختلج . فوقفت جوزيه تحملق فيه ، وقد انتابتها رغبةفى الضحك فى وجهه !

ـ نعم . هذا هو « مارك » !

ـ انه يشبه التمثال الذى يعرض عليه الخياطون الازياء !

ـ لقد كان دائما كذلك .

ـ أكنتما تستعيدان الذكريات ؟

ـ بالطبع . انك أدرى بكل شىء ، ألست كذلك ؟

ـ يسرنى ان تحتفلى بنجاحى بهذه الطريقة !

ـ اسمع . اسمع . أتذكر ما وعدتنى به ؟

وكان الارجح ان ألان يفضل تناسى الامر ، بعد ما سمع من تقريظ ، وبما احتسى من خمر .. فأولته جوزيه ظهرها ، وانتابها احساس بأن الحفلة قد أمست زائفة ، بعيـدة عن الواقع . ودار بخلدها : « بالنسبة لى ، له ان يفعل ما يروق له . فليلطخ قطع القماش بالالوان ، دون ان يؤمن بما يفعله .. وليدفع لورا الى الانتحار ! » . وخرجت من الغرفـة لتضع بعض المساحيق على وجهها ، لكن الحمام كان مشغولا، فقررت أن تستخدم حمام لورا ، الواقع فى جناح آخر .

واجتازت غرفة مزدانة بستائر مصنوعة من « الساتان » الازرق ، حيث شاهدت كلبين من النوع (البيكينى) راقدين فى الفراش . وأخيرا دخلت غرفة الحمام الصغيرة ، ذات اللونين الازرق والذهبى .. **هنا كان من المحتمل أن لورا اعتادت أن ترد الرواء الى وجهها ، كى تفتن ((ألان)) . ودفعتها تلك الفكرة الى الضحك . وفى المرآة بدت عيناها أكثر تألقا وصفاء من المألوف ، فاستندت بجبينها الى المرآة .**

– أتفكرين ؟

وأجفلت جوزيه اذ سمعت صوت «مارك» . كان واقفا أمام الباب ، فى وضع كثيرا ما اتخذه نماذج الرسامين عندما يقفون للوحة تمثل «آدم» . فاستدارت اليه ، وابتسم كل منهما للآخر !.. وخطا خطوة واحدة اليها ، فطوقها بذراعيه ، وطبع على شفتيها قبلة ، لكنها قاومته فى ضعف ووهن .. فأطلق سراحها ، قائلا فى صوت به بعض الخشونة : « لعل هذا يذكرك بالايام السعيدة الماضية ! »

وحدثت جوزيه نفسها : « اننى أريده . انه سخيف بعض الشىء ، ويتحدث بلغة الروايات الرخيصة ، لكنى أريده !» .. وأغلق الباب فى صمت ، ثم أحاطها بذراعيه ثانية . ووقفا كلاهما يتصارعان . وما لبثا أن انزلقا – فى ارتباك – الى الارض . واصطدمت رأس مارك بحافة الحوض ، فأخذ يسب ويلعن . وكان أحد الصنابير قد ترك مفتوحا ، فراودت جوزيه رغبة واهنة فى القيام لاغلاقه ، لكن مارك كان قد أمسك – فعلا – بيدها ، وهو يضمها اليه ، فعاد الى ذاكرتها ما

عهدته فيه من تيه وزهو بحيويته .. ولم يغرب عن ذهن جوزيه - لثانية واحدة - صوت الماء وهو ينساب من الصنبور المفتوح الى الحوض !

ووجدت جوزيه فى ضيق الحمام - وهمهمات الاصوات التى وصلت الى أذنيها من قاعة الاستقبال ، وفى اجترارها ذكريات الماضى - متعة تفوق متعة العناق ذاته .. وأخيرا ، قالت له : « انهض .. قبل أن يشرعوا فى البحث عنا . فلو أن لورا .. »

ونهض .. ومد يده اليها فساعدها على الاستواء على قدميها ، لكن ساقيها ارتجفتا ، فساءلت نفسها عما اذا كان ذلك ناشئا عن الخوف والفزع ؟.. وسويا شعرهما فى صمت ..

- هل لى أن أتصل بك تليفونيا ؟

- نعم .. تستطيع الاتصال بـ « سيفران » .

ونظر كل منهما الى الآخر فى المرآة .. كان السرور والرضا يبدوان عليه ، فضحكت ضحكة خافتة ، ثم طبعت قبلة على خده ، وغادرت الحمام قبله . وكانت تدرك تماما ما سيفعله بعد انصرافها : سيشعل لفافة ، ثم يربت للمرة الاخيرة على شعره .. وأخيرا ينصرف وقد بدت عليه اللامبالاة ، الى درجة كفيلة بأن تثير شبهات أقل الناس ملاحظة.. ولكن ، من الذى يتصور انها - فى نفس اليوم الذى يقام فيه معرض زوجها الشاب ، الوسيم - ترتكب تلك الحماقة ، فى حمام لا تتجاوز مساحته خمسة أقدام مربعة ، مع احد أصدقائها القدامى!..

صديق لم تكن تعشقه ، بل ولم تعشقه فى يوم من الايام ؟!!.. حتى ((ألان)) ذاته ما كان ليتصور ذلك !

وعادت الى غرفة الاستقبال ، فتناولت قدحا من عصير الفواكه ، ثم راحت تتثاءب سرا ، وقد شعرت بالنعـاس يهاجمها .. كما اعتادت أن تشعر دائما كلمـا تحول الحب لديها الى مجرد لذة حسية ، خاليـة من الشاعرية . وكانت لورا تنتقل من فريق الى فريق ، ناسجة حول ألان هالـة سحرية ، بينما وقف الاخير ــ مكتئبا ، مشعث الثياب ــ أمام «جان بيرديه» ، الثرثار المرح . واتجهت جوزيه نحو «ألان» ، لكن لورا لحقت به قبلهـا ، قائلة : « ان بطل حفلتنا فى حالة رائعة .. انك تبدو أشبه بتمثال شامخ ، ياعزيزى ألان ! » .. ثم أحكمت رباط رقبته ، فتركها تفعـل ذلك دون أن يلقى عليها نظرة .. فأدركت جوزيه انه كان ثملا تماما . ورفعت لورا يدها لتسوى شعره المشعث ، وفجأة انتزع ألان نفسه بعيدا عنها ، وهو يقول : « كلا . لقد أنشبت مخالبك فى ، بما يكفى ، اليوم ! »

وخيم عليهم صمت رهيب ، فوقفت لورا وقـد تسمرت قدماها بالارض ، واستولى عليها ذهول فظيع ، وكأن صاعقة انقضت عليها !.. ثم حاولت ان تطلق ضحكة صغيرة ، لـكن الضحكة ماتت على شـفتيها . أما « ألان » فنكس بصره فى قنوط . ووجدت جوزيه نفسها تنهض عن مقعدها ، متجهة اليه ، وتهمس له : « أعتقد انه قد حان موعد عودتنا ! »

ولم تشعر بمدى الفكاهة التى كمنت فى عبارتها ، الا فى

داخل سيارة الاجرة . وفتح « ألان » النافذة ، فطوح الهواء شعرها ، وأنعشها فى الوقت ذاته ورد اليها حيويتها ..

ـ انك لم تكن لطيفا معها .

ـ مجرد اننى غازلتها مرة أو مرتين ، ليس سببا كافيا لأن ..

وتلعثم فلم يستطع أن يكمل جملته ، وماتت الكلمات بين شفتيه .. فتطلعت جوزيه اليه غير مصدقة ، وهتفت : « غازلتها ؟.. متى ؟ »

ـ فى المرسم . لقد أقنعت نفسها بأنها تعشقنى ، لدرجة كادت تدفعنى الى الجنون !

وحدثت جوزيه نفسها : « ان الانسان لايستطيع أن يعرف كل شىء عن أى انسان آخر . اذن فقد تأثر «ألان» بشخصية لورا ، وداعبها ـ فى بعض الاحيان ـ اما بدافع اضطرابه العصبى ، واما عن قسوة ! » وما لبثت أن سألته : هل كان يعلم أى الدافعين حمله على ذلك ؟.. فأجاب : « كلاهما !.. كانت تغلق عينيها وتتنهد ، وعلى الفور أتوقف وأعتذر اليها ثم أحدثها عنك ، وعن زوجها ، وعن روحها العظيمة ، وعن نفسى . أنا الرسام العظيم !.. **أواه يا جوزيه ، متى نفر من كل هذه الاكاذيب ؟.. اننى أختنق ، فمتى نرحل الى (كى لارجو) ؟ »**

ـ انت المسئول عن هذه الاكاذيب . انت وحدك .. انك شغوف بها أكثر مما ينبغى !

وكانت تتحدث فى رقة وحزن ، وسيارة الاجرة تشق

طريقها خلال الشوارع الرمادية ، والاشـــجار تلمع تحت الاضواء .

ـ وماذا بشأن مارك ؟

ـ لا شيء .

وكانت اجابتها جافة .. ولأول مرة لم يعمد الى الالحاح !

***

واتصل بها « مارك » تليفونيا فى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى .. فى لحظة سعيدة ، كان فيهـــا « ألان » فى الحمام . ومن ثم استطاعت جوزيه ان تواعده على اللقاء بعد الظهر ، فى الوقت الذى كانت تعلم فيه ان « ألان » ســيكون مشغولا مع مدير معرض للصور ، وعدد من المصورين . **ولم تشعر بأية بهجة فى تدبير لقائهما ، لكن ثمة رغبة كانت تتملكها فى أن تغوص فى أغوار شيء ما ، وفى أن تحطم صورة لنفسهـــا كانت تخايلها منذ وقت طويل جدا !**

وما أن خرج « ألان » من الحمام ، حتى رفع ســماعة التليفون ليتصل بلورا ، معتذرا اليهـــا بأن ثورته بالامس لم تكن مما يمكن تفاديه ، وبأنه يعتقد انها لا بد قد أدركت ذلك .. لكنها لاذت بصمت ينبيء عن الدهشة .. بينمـــا توقفت جوزيه ـ التى كانت ترتدى ملابسها ـ بلا حراك ، اذ سمعته يقول : « ان جوزيه ترتاب فى أن علاقتنـــا قد تجاوزت حدود الصداقة البريئة ! » .. ثم ابتسم لزوجته ، واسترســـل قائلا : « انها تستحق العبادة ـ بالطبع ـ لكنهـــا غيورة الى درجة فظيعة . وقد أردت أن نتحفظ فى علاقتنا لأطمئنهـــا ،

وان نوحى اليها انك انت التى .. تعانين ضعفا نحوى ! »

وطوال المكالمة ، لم يرفع « ألان » ــ الذى كان يجلس على حافة الفراش ، متدثرا برداء الحمام الاحمر اللون ــ عينيه عن جوزيه ، التى وقفت أمامه مذهولة !.. وأعطاها المسماع، فتناولته منه فى حركة آلية .. وأتاها صوت لورا متهدجا ، لكنه ينطق بارتياح يفوق الوصف ، وهى تقول : « لقد ارتبت فى أن يكون الامر كذلك . ألان ، يا عزيزى ، ينبغى أن لا يعلم أحد بالعاطفة التى نتقاسمها .. فلسنا نملك الحق فى تعذيب الآخرين و .. »

وألقت جوزيه المسماع فوق الفراش ، وقد غمرها الخجل، وشىء من الفزع ، اذ راقبت ألان يسترسل فى حديثه ، بنفس اللهجة الحنون الودود ، حتى اذا أقنع لورا بأن تلقاه فى المعرض بعد الظهر ، أنهى مكالمته . وهتف : « لكم لعبت دورى بمهارة !.. هل شاهدت كيف قلبت الامور رأسا على عقب؟» .. وحاولت جوزيه أن تكظم غيظها ، كى لا ينم عنه صوتها ، وهى تقول : « حقا ، لست أرى الى أين يؤدى بك كل هذا !»

ــ الى لا مكان . لماذا تريدينه أن يؤدى بى حتما الى مكان ما ؟.. هذا هو الفرق الكبير بيننا يا حبيبتى . فأنت عندما تتزوجين ، يكون دافعك الى ذلك انجاب الاطفال . وعندما تتحدثين مع رجل ، يكون هدفك هو أن تتخذيه عشيقا . **أما أنا فأغازل امرأة لاأبتغى منها شيئا ، وأرسم دون ان أؤمن بعملى .. هذا ما فى الامر !!**

وفجأة كف عن مزاحه ، واقترب منها ، وقال : « هذا هو

الثمن الذى ندفعه فى هذه المهزلة الضخمة ، مقابل تمتعنـــا بحياتنا الانسانية . ولست ارى لماذا لا يجدر بى أن أستمتع بفكاهاتى الصغيرة .. ماالذى ستفعلينه أثناءانشغالى بمناقشة رسومى مع صديقتى ؟ » ، فأجابته فى مرح : « ســـأتمرغ فى أحضان مارك ! »

— كونى على حذر ، فما زلت أستأجر مخبرا يتعقبك !

ثم ضحك بدوره . وشعرت جوزيه بوخزة ألم غريبة فى قلبها ، عندما تذكرت نزهتها الاولى فى حدائق (ســـنترال بارك) ، والجهد الكبير الذى بذلته فى سبيل محاولة فهمه .. لقد أسبغت عليه — مقدما — قدرا كبيرا من الحنان والاهتمام والرعاية ، مثلها فى ذلك مثل أى انسان يحس ببداية أعراض الغرام !

وكان غداؤهما يتألف من المحار ، وأصـــناف مختلفة من الجبن ، قدمت اليهما فى أطباق فخمة .. وكان « الان » يصر دائما على أن يكون غطاء المـــائدة أبيض اللون . وانصرفا فى الساعة الثانية والنصف . . فقالت جوزيه لنفسها: «ان شخصا يتعقبنى ! » . وسارت فى خطوات بطيئة ، لكى تتجنب ارهاق المخبر الخاص ، فربما كان شيخا مسنا ، رث الثياب ، وقد سئم مهنته ، بل ربما تولد فى قلبه نحوها نوع من المودة ، بعد ثلاثة أشهر استمر خلالها يلازمها ملازمة الظل .. ترى هل تحدث مثل هذه الامور حقيقة؟ .. على أية حال ، فانها مضت تقوده الى المقهى ، حيث كان « مارك » يجلس فى انتظارها !

واستقبلها « مارك » بصيحات الفرح ، فنظرت اليـه فى

دهشة .. أى جنون وخلل عقلى ، ذلك الذى صور لهـــا «مارك» ، فى الليـــلة السابقـــة ، كانسان يبعث الشعور بالايناس ؟ .. لقد كان مزهوا كالطاووس ، يفـــوح منه عبير عطر « اللافندر » . وأخذ يرحب بكل انسان . لكن ســـببا واحدا هو الذى حدا بها اليوم الى المجىء ، أو على الاصح « لا سبب » واحدا .. ذلك لأنها - حتى فى هذا المضمار - كانت تفضل « ألان » ألف مرة على « مارك » !

وابتسمت له ابتسامة ذات معنى ، مرة أو مرتين ، فنهض على الفور قائلا : « هل ترغبين فى .. ؟ » .

وأطرقت برأســـها .. أجل ، كانت ترغب . ولكن ، فيم ترغب؟.. قليلا من الترفيه؟.. أن تكيد لآلان؟.. أو أن تحطم نفسها ؟.. وفى الحال اقتادها منصرفين ، وما لبثا أن استقلا سيارة عتيقـــة ، تنفث الدخان من الخلف ، من النوع الذى يحبه « المخبرون السريون » .. ولكى يفزعها ، عمد «مارك» الى الانحراف بعنف مرتين أو ثلاث مرات . وبـــرغم مرحه ، بدا مضطربا بعض الشىء . وتكررت بينهما حماقـــة الليلة السابقة ، وان يكن فى ظروف أكثر راحة ، بفضل فراش وثير ضخم ، فى احدى غرف مرسم مارك !

***

وبعد فترة ، أشعل « مارك » لفافة أعطاها اياها ، ثم بدأ اسئلته : « حدثينى عن زوجك . ألست تحبينه ، أم انه ليس بارعا فى ميدان الهوى ؟.. انهم يقولون ان الامريكيين .. » .

فأجابته جوزيه بجفاء : « لا تتدخل فى شئون غيرك ! »

ـ الحق اننى لا أصـــدق انك تحبيننى أنا .. هل لى ان اصدق ؟

فابتسمت جوزيه وتمطت ، ثم أطفأت اللفافة ، وأجابتـــه :
« كلا . على الاطلاق . اننى ، فى هذه اللحظة ، أحطم أشياء . بل أحطم شيئا ـ على وجه الخصوص ـ كانت له أهمية بالغة بالنسبة الى ! »

وأحست بالحسرة على نفسها ، فسألها : « لماذا ؟ » .. ولاح عليه الضيق ، لما لمسه من صدق فى نبراتها :

ـ هكذا الامـر : اما أن أحطـم ذلك الشىء ، أو أحطـم نفسى !

ـ هل سيكتشف زوجك الامر ؟

ـ انه يستأجر رجلا لمراقبتى .. مخبر سرى ينتظرنى فى الشارع !

فهتف : « أحقا ؟ » .. وأطربتـــه تلك الفكرة ، فقفز الى النافذة . واذ لم ير أحدا ، رسم على وجهه تعبيرا عنيفـا ، وتظاهر بالفزع ، كى يمازحها .. فما أن انطلقت ضاحكة حتى احتضنهـــا بين ذراعيـــه ، وهتف : « اننى أعبـدك عندما تضحكين ! »

ـ هل كنت أضحك كثيرا من قبل ؟

ـ قبل ماذا ؟

وكادت أن تقول : « قبل أن أتزوج الان » ، غير انهـــا

أحجمت ، وقالت : « قبل أن اذهب الى نيويورك ! »

ــ أجل . كثيرا جدا . لقد كنت بالغة المرح .

ــ كنت فى الثانية والعشرين عندما التقيت بك أول مرة ، أليس كذلك ؟

ــ تقريبا . لماذا ؟

ــ اننى فى السابعة والعشرين الآن . وهو ما يجعل الامر يختلف . فلست أضحك كثيرا فى هذه الايام . **ثم اننى كنت أستعين بالشراب كى أأتلف بالنـــاس ، أما الآن فأنا أشرب لأنساهم .. مضحك ! اليس كذلك ؟**

ــ لا يبدو لى الامر كذلك .

وتحسست بأناملها خد « مارك » .. لقـــد كان يعيش حياته ، بين عمـــله الصحفى ، والمرسم ، وغزواته النسائية السهلة .. كان عطوفا ، ثرثارا ، بمثابة انمـوذج طروب من الانسانية .. وتنهدت قائلة : « يجب أن أعود الى المنزل ! » . فسألها : « اذا كان هناك من يتعقبك ، فماذا ستفعلين ؟ » .. وابتسم اذ قال ذلك ، لكنها تجهمت :

ــ انك لا تصدقنى ، ألست كذلك ؟

ــ كلا . لقد كان فى جعبتك دائمـــا كثير من القصص الخيالية ، وكنت أحب الاستماع اليها . كان الجميع يحبون الاستماع اليها ، لا ســيما انك ــ انت نفسك ــ لم تكونى تصدقينها !

ــ أحسب اننى كنت ــ فى تلك الايام ــ مرحة ، وعلى قدر

من الجنون .

– وأنت لا تزالين كذلك !

وفيما هو عائد بها الى مسكنها ، انطلق بالسيارة فى سرعة فائقة .. وأمام الباب تردد قليلا ، قبل أن يسألها : « غدا ؟ »

– سأتصل بك تليفونيا فى مكتبك !

***

وصعدت الدرجات فى بطء .. كانت الساعة السابعة ، ولا بد ان « ألان » قد عرف – الآن – انها دخلت منزلا فى شارع (بيتى شامب) فى الساعة الثالثة والنصف ، ولم تنصرف منه الا بعد ساعتين !.. وبينما كانت تبحث عن المفتاح ، ارتجفت يداها ، غير أنها كانت تدرك أن لا بد لها من الدخول ، وان ذلك كان الحل الوحيد !

ووجدته هناك ، بلحمه ودمه ، مستلقيا فوق الاريكة ، يقرأ صحيفة المساء . وابتسم ، وبسط لها يده ، فجلست الى جواره . وقال : « ان الاحداث بالغة السوء فى الكونغو ، كما تعلمين . لقد تحطمت طائرة بالقرب من بروكسل ، وأصبحت الصحف – هذه الايام – مليئة بأنباء الوفيات » .

– **هل زرت لورا ؟**

وكانت تستمتع – فى يأس – بتلك اللحظات الاخيرة من السلام .. فقد كان ما يزال فى وسعها أن تتحدث اليه كصديق ، ولو كان يتميز غضبا فى أغواره .. وقال : « بالطبع زرت لورا . انها تتصرف كمن تعيش فى مؤامرة ! »

– **وهل تسلمت التقرير ؟**

ـ اى تقرير ؟

ـ تقرير المخبر السرى الذى يتعقبنى ؟

وانفجر ضاحكا : « أو ما زلت تذكرين . ان الامر لم يستمر أكثر من أسبوعين . ولو كان قد بدر منك أدنى انحراف ، لأخبرنى به أصدقائى الاوفياء ! »

وعلى حين غرة ، استلقت الى جواره ، مستندة برأسها الى كتفه . واستولى عليها احساس غامر بالرقة والحنان .. لقد كان مجال الاختيار لا يزال بعد أمامها ، لكنها كانت واثقة من أن اختيارها قد وقع فعلا ، فى اليوم الذى ذرفت فيه الدموع على كتف « برنار » ، فى تلك الحانة المكيفة الهواء ، فى نيويورك .. واذ شرد بالها فيما يتصل بزوجها ، ونفسها ، وفشلهما المشترك ، **أدركت انه لم يبق أمامها سوى اتخاذ هذا السبيل ، الذى لاح لها عميقا ، عمق الحقيقة .. أعمق من حكم الالفة فى معاشرة ذلك الجسد الهادىء ، الراقد بجوارها مستكينا ، وذلك الساعد الذى يشبه الدرع الواقى ، والذى كان رأسها يتوسده** .. وتنهدت ، ثم أحست بأنامل « ألان » تتحسس شعرها فى حنان !.. وراحت عيناها تتفحصان مصاريع النوافذ الداكنة ، والجدران الزاهية ، والصور القليلة التى كانت تزين الغرفة .. وأغمضت عينيها ، وساءلت نفسها : « منذ متى أعيش مع هذا الرجل الذى يتنفس بهدوء الى جوارى ؟.. منذ عامين ونصف ، أم ثلاثة ؟.. **ماذا عساى أفعل ؟.. والى أين أذهب ؟ .. ومع من ؟** » ..

وبدت لها كل هذه الاسئلة ملحة ، تتطلب جوابا سريعا ، وأن

كانت سخيفة !.. وكان كل سؤال منها يتوقف على العبارة القصيرة التى كان عليها أن تنطق بها أولا ، والتى أحجم جسدها بأكمله – وكل عضلة فى وجهها – عن الافصاح عنها ! .. وراحت تناجى نفسها : « يجب أن أتريث .. أنتظر وأتحدث عن شيء آخر ، واستنشق نفسا عميقا ، فلاألبث ان أتمكن من أن أقولها بسهولة ، ودفعة واحدة ! »

وجاءها صوت « ألان » الساخر ، بعد أن أزاح يده عن شعرها : « حدثينى عن مارك ! »

– لقد قضيت بعد الظهر معه ، فى مسكنه !

– لست أمزح !

– ولا أنا !

ومرت بهما فترة صمت قصيرة ، انطلقت جوزيه بعدها تتحدث .. أخبرته بكل شيء ، بأدق دقائقه : المكان .. قطع الاثاث .. أحاديثهما .. مداعباتهما .. وبذلت جهدا خاصا كى تتذكر كل شيء !. . وما أن فرغت من اعترافها ، حتى ندت عنه تنهدة غريبة .. ثم سألها : « لماذا تبوحين لى بكل ذلك ؟ »

– كى لا تضطر الى سؤالى !

– وهل ستفعلين ذلك مرة أخرى ؟

– أجل .

وكانت صادقة !.. ولا بد انه ادرك ذلك . واستدارت برأسها نحوه . لم يلح عليه انه كان يتعذب ، بل بدا عليه الابتئاس وخيبة الامل ، مما اكد لجوزيه ما كان يدور فى

خلدها . فسألته : « هل بقى شىء ترغب فى معرفته ؟ » ..
وأجابها متباطئا : « كلا . أعتقد انك ذكرت لى كل شىء ..
كل شىء له أهمية بالنسبة لى .. كل شىء كنت أشفق منه »
ثم صرخ قبل أن يكمل جملته ، ونهض جالسا .. ولأول مرة فاضت نظرته اليها بالحقد والكراهية !

ونظرت اليه فى ثبات ورباطة جأش ، وفجأة سقط على ركبتيه ، مسندا رأسه الى فخذها ، وما لبث جسده أن راح يهتز ، وهو يجهش ببكاء خشن ، ثم همس : **« ماذا فعلت ؟.. ماذا فعل كلانا ؟ »**

ولم تتحرك ، أو تجب .. وانما ظلت تستمع الى خفقات سكينة عميقة فى جوفها . فاستطرد : «لقد أردتك ، بأكملك .. **ابتغيت أسوأ ما فيك ! »** . فأجابته ببساطة : **«لم أستطع أن أستمر فى الخداع ! »** .. فرفع رأسه وأطلق آخر سهم فى جعبته : **« كان ذلك خطأ فاحشا ! »** . لكنه لم يكن يعنى اليوم الذى قضته فى أحضان «مارك» ، بل كان يعنى وصفها لما حدث ..

وأدركت هى ذلك !.. فقالت له بلطف : « ستكون الحال بيننا على ما هى عليه .. **لقد انتهت اللعبة ! »** .. ولبثا فى مكانهما ، فى نفس الوضع ، فترة طويلة ، ملتصقين .. أشبه بمصارعين خائرين ، سقطا تعبا واعياء !

تمت

تتشرف **رابطة الأدب الحديث** ، بالاشتراك مع مجلة **مطبوعات كتابى** ، بدعوة سيادتكم لحضور الندوة التى تقيمانها بدار الرابطة — ٦ شارع بنك مصر — فى الساعة الثامنة من مساء السبت ١٦ يونيه ١٩٦٢ ، لمناقشة موضوع : ((**فرانسواز ساجان**)) **ودورها فى الأدب الحديث** .. وذلك لمناسبة قيام (مطبوعات كتابى) بترجمة ونشر روايتها الاخيرة : **(السحب الرائعة)** .

وسيتحدث فى الندوة الدكاترة والاساتذة : **محمد مندور ، عبد القادر القط ، أنور لوقا ، رجاء النقاش ، فوزية مهران ، حلمى مراد ، محمد بدر الدين خليل ، رمسيس شكرى** .

يقدم الندوة : على شلش

والدعوة عامة للجميع